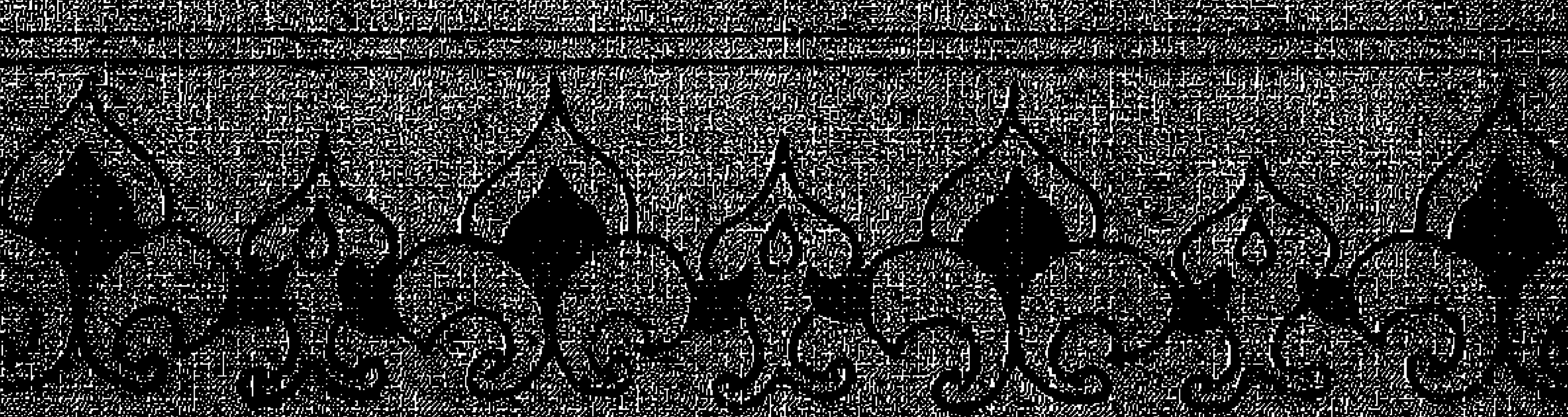
بكير بن سعيد أعوشت

دراسات إسلامية في الأصول الإباضية



الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية عابدين
القاهرة ت: ٣٩١٧٤٧٠

بكير بن سعيد أعوشت

دراسات إسلامية
في
الأصول الإباضية

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الثالثـة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار التضامن للطباعة
٢٢ شارع سامي - ميدان لاظوغلي
القاهرة - تليفون ٣٠٥٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وانت خير الفاتحين » •

(قرآن كريم)

« الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها
فهو أحق بها » •

(حديث شريف)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لقد وضع هذا الكتاب لجمهور القراء الكرام ، فكثير منهم قد يجهل عقائد وأصول المذهب الاباضى جهلا تاما ، والبعض منهم قد يحمله افكارا وأساطير خاطئة ، تسربت اليهم من خلال مطالعاتهم اليومية من مصادر غير اباضية .

وأخيرا استقر رأيى أن أنهج منهجا جديدا ، يتمثل فى اختيار النصوص التى كتبت من طرف أعلام الاباضية أنفسهم قديما وحديثا ، من القرن الأول الهجرى الى القرن الرابع عشر مبينا أصولهم وعقائدهم ، فعالجت الفكرة المطروحة من عدة مصادر اباضية ذاتها .

وعرفت حياة الأعلام ، وضبطت الاسم ومكان وزمان الولادة والوفاة مع الاشارة الى شيوخهم قدر الامكان ، وشرحت المصطلحات الكلامية ، ثم بينت الفرق الاسلامية ، فكل هذا بطريقة موجزة حتى لا يسأم القارىء الكريم .

وفى آخر كل موضوع قدمت فكرة عامة عن المشكل المطروح من خلال النصوص ، وبينت وجه الاتفاق والاختلاف مع المذاهب الفلسفية الأخرى .

ولى أمل كبير ، فى أن هذا الكتاب سيزيل عدة مفاهيم خاطئة ، ويوضح آراء الاباضية ، وعقائدهم ، ووجهة نظرهم فى المشاكل الفلسفية الاسلامية التى طرحت من قبل ، ويزيد فى اثراء الثقافة الجزائرية الاسلامية التى تسعى جاهدة ، أن تبين ماهيتها من أصالة وعظمة الاسلام .

والله نسأله أن يسدد خطانا ويهدينا سواء السبيل ، والسلام .

* * *

ملاحظة : أما بالنسبة للرموز التى سيجدها القارىء الكريم فاوضحها كما يلى :

ر = راجع ـ ف = فهرس ـ أ = أعلام .

ف = الفرق ـ م = المصطلح الكلامى .

ويترتب على ذلك ما يلى :

ر : (ف ـ أ) معناه راجع فهرس الأعلام .

ر : (ف ـ ف) معناه راجع فهرس الفرق .

ر : (ف ـ م) معناه راجع فهرس المصطلحات .

وبعد الخاتمة : سيجد القارىء الكريم فهرس مصادر ومراجع البحث التى اعتمدت عليها ـ مدققة من حيث عنوان المصدر والمؤلف ، والطبع والمحقق والسنة والناشر .

بكير بن سعيد أعوشت

* * *

الفصل الأول

الاباضية •• وكتاب المقالات

١ ـ الغاية من دراسة النصوص الكلامية :

تعتبر دراسة النصوص مصدرا يأخذ منها المؤلف فكـرته وسندا يستند اليها ، وقد قيل : تؤخذ الفكرة من أفواه رجالاتها ، لذا فان دراسة النصوص تعتبر عملا ضروريا فى شرح وتحليل ونقد فكرة أو مذهب ما ، ثم انها تقدم الدليل القاطع لاثبـات الفكرة أو نفيها ، فهى بالتالى تزرع روح التفكير الاستدلالى ، وغرس روح النقد وعدم الاستسلام لسلطة المفكرين السابقين ، والآراء الشائعة عند الغير ، وبات من المستحيل أن يستغنى عنها الدارسون عند دراستهم الآراء والمذاهب المعينة مهما كانت اتجاهاتها •

٢ ـ كتاب النصوص والآراء الاباضية (١) :

ان أغلب كتاب المقالات فى القديم والحديث ، اعتمدوا

---

(١) راجع الاباضية بين الفرق الاسلامية : لعلى يحيى معمر ، ص ١١ ـ ٢٤٣ •

على مصادر غير اباضية فى دراسة وتحليل ونشر عقائدهم وأفكارهم ، ومما زاد الطين بلة تلك المناورات والدسائس السياسية التى كانت تحاك من طرف حكام الأمويين ، وغلاة الشيعة (٢) الذين سعوا بكل طاقتهم الى وأد عقائد الاباضية وتشويهها بالأحاديث المنتحلة والروايات الموضوعة عن الرسول ﷺ فى حق هؤلاء ، فنتج عن هذا تناقض واضح جدا ، بين المصادر التى كتبت من طرف أعلام الاباضية أنفسهم وبين الأفكار التى وردت فى مصادر غير اباضية ، فهذا يتنافى بكل تاكيد مع الروح العلمية التى تتطلب من الباحث أن يلتزم الحقيقة دون سواها اما بالبرهان العقلى أو التجربة والحرص على التثبت والتاكيد عن طريق النقد المنهجى (٣) .

ويستطيع القارىء الكريم أن يعود الى المصادر التى ألفها الاباضية ، فى العقائد والحديث والتفسير والفقه ، والأصول وعلم الكلام ، والتاريخ ، ليتأكد من أفكارهم وآرائهم الدينية والسياسية ، غير أننا نجد أن جل الكتاب ، اعتمدوا فى دراسة الفكر الاباضى على مصادر غير اباضية سواء فى القديم

---

(٢) أشهر فرق الغلاة الاسماعيلية والقرامطة ر : (ف ـ ف) .

(٣) ر : (ف ـ م) .

أو العصر الحاضر ، فلا شك أن هؤلاء الكتاب قد ارتكبوا أخطاء لأنهم لا يعرفون عن المصادر الاباضية شيئا فهذا يتنافى كما قلنا سابقا مع الروح العلمية • واشير هنا أن أغلبية كتاب المقالات قديما أو حديثا ، فقدوا الشرط الضرورى فى البحث العلمى الذى هو عدم نقل أفكار الاباضية من مصادرهم ، غير أن هناك بعض تلميحات ظهرت فى بعض كتب المعاصرين الا أنهم لم يتحرروا بعد من عقد الكتاب القدماء •

وهنا يمكن أن نذكر هؤلاء القدماء ومؤلفاتهم ، التى تعد العمود الفقرى للدراسات المعاصرة – وكل من جاء بعدهم انما هو عالة عليهم ، منهم يأخذ ، أو على طريقهم يسير – كما يقول يحيى معمر (٤) •

وأما الكتب فها هى : حسب ترتيبها الزمنى (٥) :

(١) مقلات الاسلاميين واختلاف المصلين للاشعرى المتوفى ٣٣٠ هـ

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى « ٤٢٩ هـ

(٣) الفصل فى الملل والنحل لابن حزم « ٤٥٦ هـ

---

(٤) راجع ص ١٧ الاباضية بين الفرق الاسلامية لعلى يحيى معمر ، ص ١١ – ٢٤٣ •

(٥) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية لعلى يحيى معمر ص ١١ – ٢٤٣ •

(٤) التبصير فى الدين للاسفراينى المتوفى ٤٧١ هـ

(٥) الملـل والنحـل للشهرستانى « ٥٤٨ هـ

أما المؤلفون المعـاصرون الذين كتبوا فى الفكر الاباضى فهم كما يلى :

(١) الأستاذ الغوابى ـ كتاب : تاريخ الفرق الاسلامية ٠

(٢) الأستاذ أبو زهرة ـ كتاب : المذاهب الاسلامية ٠

(٣) الأستاذ أبو زهرة ـ كتاب : تاريخ المذاهب الفقهية ٠

(٤) الأستاذ شيبة الحمد ـ كتاب : الفرق والمذاهب المعاصرة ٠

(٥) الأستاذ هويدى ـ كتاب : تاريخ فلسفة الاسلام من القارة الافريقية ٠

(٦) الأستاذ عمار الطالبى ـ كتاب : آراء الخوارج الكلامية ٠

٣ ـ الحد المشترك بين كتاب المقالات قديما وحديثا :

ان هؤلاء المعاصرين قد اعتمدوا على المصادر القديمة ، دون الرجوع الى المصادر الاباضية ، فوقعوا فى نفس الخطـأ الذى وقع فيه القدمـاء ، وكذلك الأمـر بالنسـبة للمستشرقين فيلكس جوتييه ، وكـارلو الفونسـو نيلينو ، وهنرى ماس ، وغيرهم ٠

فان أغلب هـؤلاء الكتـاب يفتقرون الى الروح العلمية والبحث العلمى ، وفى هـذا الشأن يقول « بـول » فى كتابه

المنطق وفلسفة العلوم ص ٥٨ ما يلى : « فاتصاف المرء بروح النقد ، معناه اذن أن يأخذ على عاتقه فحص كل البراهين التى يمكنها أن توجه القرار فى اتجاه معين أو فى اتجاه آخر فحصا دقيقا ، ودون تدخل من أهوائه ، وأن يعى ذهنه تلك البراهين بما لها من قيمة حقيقية ، وأن يؤلف بينها فى النتيجة النهائية دون اغفال واحد منها . ويتطلب ذلك طاقة أخلاقية كبيرة ، وقدرة على كبح أهواء الذات » .

٤ ـ المصادر الاباضية :

وفى ختام هذا الفصل ، يمكن أن أشير الى بعض المصادر الاباضية ذاتها التى عالجت الفكر الاباضى ، وبينت عقائده ، ووضحت حقيقة آرائه ـ الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية فمن يريد المزيد ، والتثبت والمقارنة بين المدرسة الاباضية ، والمدارس الفكرية الأخرى ، ليستخرج الأصول المتفقة والأصول المختلفة ، ليتأكد مما قلناه فى هذه الدراسة المبسطة فهى كالتالى :

المصدر	صاحبه
(١) الموجز	أبو عمار عبد الكافى الاباضى
(٢) كتاب السير	أبو العباس الشماخى

(٣) طبقات المشائخ أبو العباس الدرجينى

(٤) قواعد الاسلام أبو طاهر الجيطالى

(٥) الدليل والبرهان أبو يعقوب الورجلانى

(٦) عقيدة التوحيد عمرو بن جميع

(٧) شرح صحيح الربيع ابن حبيب

نور الدين السالمى

(٨) طلعة الشمس نور الدين السالمى

(٩) مشارق أنوار العقول نور الدين السالمى

(١٠) تيسير التفسير قطب الأئمة محمد أطفيش

(١١) شرح النيـــل قطب الأئمة محمد أطفيش

(١٢) شامل الأصل والفرع قطب الأئمة محمد أطفيش

(١٣) الذهب الخالص قطب الأئمة محمد أطفيش

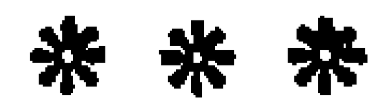
(١٤) الاباضية فى موكب التاريخ على يحيى معمر

(١٥) الاباضية بين الفرق الاسلامية .

على يحيى معمر

وهدفنا الوحيد من ذلك هو أننا نريد أن نبدد المفـــاهيم الخاطئة ، ونوضح حقيقة آراء الاباضية كمـــا جـــاءت فى مصادرهم لا زيادة فيها ولا نقصان ، وان الأمانــة العلميــة

تفرض علينا أن نبين الأخطاء التى وقع فيها بعض الكتـــاب المسلمين والمستشرقين بعيدين عن التحيز والذاتية ، ونتقيد بالروح العلمية التى تحاول تمحيص الوقائع وتقتضى نزاهة هى ألزام لوازم روح البحث العلمى كما هو معلوم عند الدارسين جميعا .



الفصل الثانى

نشـأة المذهـب الابـاضى

١ ـ بـذور الفـكر الابـاضى :

ان نشأة الفكر الاباضى ، يعود بالدرجة الأولى الى العامل الدينى والسياسى الذى تمثل فى مبايعة عبد الله بن وهـب الراسبى (١) ، من طـرف بعض الصـحابة والتابعين الذين أنكروا التحكيم على عـلى كرم الله وجهـه ، وفيهم من أهـل بدر ومن شهد له رسول الله ﷺ بالجنـة كحرقوص بن زهيـر السعدى (٢) وفروة بن نوفـل وسارية بن لجـام السعدى ، وكانت هذه النشأة فى شوال سنة ٣٧ هـ ، وقد رفـع أصحاب عبد الله بن وهـب الراسبى الشـعار التالى : قبلت الدنية ولا حكم الا لله ـ وهكذا نـرى أن الذين كانوا مـع على من صفين متوادعين فـروا عليه ، وعرفـوا لذلك باسـم الخوارج

---

(١) ر : (ف ـ أ) .
(٢) ر : (ف ـ أ) .

أو الشراة (٣) عند المؤرخين عامة ، فلابد أن نوضح ، أن انشىء الوحيد الذى يربط الاباضية بالخوارج هو رفضهم المشترك للتحكيم ، والدعوة الى امامة المسلمين عن طريق حرية الاختيار والكفاءة الشرعية لهذا المنصب بين المسلمين جميعا ، فسوف نقوم بتحليل شامل لهذه الفكرة فى باب الامامة . أما أعلامهم من عبد الله بن اباض الى آخرهم فهم يرفضون أن يسموا خوارج ، فسوف نقدم عدة نصوص تنفى عنهم هذه الدلالة الشائعة الهادفة الى أغراض دينية وسياسية محضة ، كما تدل على ذلك كتب التاريخ وعلم الكلام .

٢ ـ ظهور المذهب الاباضى :

ظهر المذهب الاباضى ، فى القرن الأول الهجرى فى البصرة . فهو من اقدم المذاهب الاسلامية على الاطلاق . والتسمية كما هو مشهور عند المذهب ، جاءت من طرف الأمويين ونسبوه الى عبد الله بن اباض وهو تابعى عاصر معاوية وتوفى فى أواخر أيام عبد الملك بن مروان ، وعلة

---

(٣) وسموا شراة لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة لقول الله تعالى : « **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة** » (التوبة : ١١١) .

التسمية تعود الى المواقف الكلامية والجدالية والسياسية التى اشتهر بها عبد الله بن اباض فى تلك الفترة ٠

٣ ـ شخصية جابر بن زيد (٤) :

يرجع المذهب الاباضى فى نشاته وتاسيسه الى جابر ابن زيد الذى أرسى قواعده الفقهية وأصوله ٠ فهو امام متحدث فقيه ، وتبحر بعمق فى الفقه ، وأمضى بقية حياته بين البصرة والمدينة بشكل جعله على صلة بأكبر فقهاء المسلمين حينذاك ٠ وقد روى عن ابن عباس قال للناس : اسالوا جابر بن زيد فلو ساله المشرق والمغرب لوسعهم علمه ٠ وقد أصبح أعظم فقيه فى البصرة وله أتباع عديدون كعبد الله ابن اباض ومرداس بن حيدر وابى عبيدة مسلم ابن ابى كريمة ٠

٤ ـ أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة (٥) :

ولقد اكتملت صورة المذهب الاباضى على يد أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، المتوفى فى خلافة أبى جعفر المنصور واليه انتهت رئاسة الاباضية بعد موت جابر بن زيد ٠

---

(٤) راجع الدرجينى : طبقات ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ولد سنة ٢١ هـ وتوفى سنة ٩٣ هـ بالبصرة ٠

(٥) راجع الدرجينى : طبقات ص ٢٣٨ ـ ٢٤٤ ٠ ولقد توفى فى خلافة أبى جعفر المنصور ٠

وباشارته أسس الاباضية فى كل من المغرب وحضرموت دولا مستقلة وتخرج على يديه رجال الفكر والدين من مختلف الدول الاسلامية آنذاك عرفوا بحملة العلم . ولقد أفلح عبد الرحمن بن رستم فى تأسيس الدولة الاباضية بـ « تهارت » فهو تلميذ من تلاميذ أبى عبيدة وأحد حملة العلم .

٥ ـ الدولة الجزائرية الاسلامية الأولى والمذهب الاباضى :

لقد ظهرت الدولة الجزائرية الاسلامية الأولى مستقلة عن الدولة العباسية بيد عبد الرحمن بن رستم (٦) واستمرت قرابة مائة وخمسين سنة (١٤٤ ـ ٢٩٦ هـ) (٧) .

وكانت مقيدة بالكتاب والسنة وأثر السلف الصالح وتركت حرية الاعتقاد والرأى وازدهرت فى زمنها حركة علمية عظيمة ، غير أن هذه الحرية الاعتقادية ، استغلها الخصم فعجلت بسقوط الدولة الاباضية فى تهارت . والمذهب الاباضى لا تزال دعائمه راسخة فى جنوب الجزائر ـ وادى ميزاب ـ وجنوب تونس ، وشمال ليبيا ـ جبل نفوسة ـ وعمان ، وهذا المذهب يعد من أقدم المذاهب الاسلامية نظرا أن امامه الأول جابر بن زيد قد توفى سنة ٩٣ هـ . أما

---

(٦) ر : (ف ـ أ) .
(٧) راجع تاريخ الجزائر ، ص ٥٨ ـ ٧٥ للميلى .

المذاهب الاخرى فلم تظهر مدارسها الا بعد القرن الثانى الهجرى ٠

٦ ـ شخصية عبد الله بن اباض (٨) :

هو عبد الله بن اباض التميمى ولد فى زمن معاوية (٤٠ ـ ٦٠ هـ) وتوفى فى آخر حياة عبد الملك بن مروان ٠ ويعد من أتباع جابر بن زيد الذى توفى سنة ٩٣ هـ ٠ وقد اهتم بالجوانب السياسية والكلامية والعسكرية والتنظيم والتخطيط لتكوين دولة اسلامية معتمدة على الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين ، وفى داره كانت تعقد هذه الحلقات من طرف تلاميذ جابر بن زيد وأنصارهم وقد جاء فى الطبقات ما يلى : « كان عبد الله بن اباض امام أهل الطريق وجامع الكلمة لما وقع التفريق ، فهو العمدة فى الاعتقادات ، والمبين لطرق الاستدلالات والاعتمادات والمؤسس لأبنية هى مستندأت الأسلاف والمهدم لما اعتمده أهل الخلاف » ص ٢١٤ ٠

وقد اشتهر بالرسالة التى أرسلها الى عبد الملك بن مروان الأموى (٦٥ ـ ٨٦ هـ) يبين فيها آراءه وعقائده بكل وضوح ، ورأيت من الضرورى أن أقدم صلب الرسالة فقط نظرا لطولها ، فهى كما يلى :

---

(٨) الدرجينى : الطبقات ، الجزء الثانى ، ص ٢١٤ ٠

٧ ـ رسالة عبد الله بن اباض الى عبد الملك بن مروان (٩) :

أما بعد : وكتبت الى تحذرنى الغلو فى الدين وانى أعوذ بالله من الغلو فى الدين ، وسابين لك ما الغلو فى الدين اذا جهلته فانه ما كان يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتابه الذى بين لنا ، وسنة نبيه التى سن وقال الله تعالى : **« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق »** (النساء : ١٧١) .

كما فعل عثمان والأئمة من بعده وأنت على طاعتهم وتجامعهم على معصية الله وتتبعهم وقد اتبعوا أهواءهم واتبعتهم أنت عليها وقال الله عز وجل : **« ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل »** (المائدة : ٧٧) . فهؤلاء أهل الغلو فى الدين .

ثم يقول عبد الله بن اباض : انا نبرأ الى الله من ابن الأزرق (١٠) وأتباعه من الناس لقد كانوا على الاسلام فيما ظهر لنا حين خرجوا ، ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد اسلامهم فنبرأ الى الله منهم .

---

(٩) ابن حميد الحارثى : العقود الفضية فى أصول الاباضية ص : ١٣٤ ـ ١٣٧ .

(١٠) زعيم من زعماء الخوارج يرى أن مرتكب الكبيرة كافر كفر شرك .

فانك كتبت الى أن أكتب بجواب كتابك وأجتهد لك فيه النصيحة . وكان حقا على أن أنصح لك لما قد علمت أن الله يقول : « **ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** » (البقرة : ١٥٩) .

أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولتحلوا حلاله ولتحرموا حرامه ولترضوا بحكمه .

* * *

● تحليل مضمون الرسالة :

ان الأفكار التى نستنتجها من هذه الرسالة تتضمن ما يلى :

١ ـ ان عبد الله بن اباض قد فند رأى عبد الملك بن مروان حول دلالة الغلو . وبين حرصه القوى على سلامة الاسلام الذى سلكه رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدين ، وبين أن المسلم المؤمن هو المطبق لكتاب الله وسنة رسول الله . لا افراط ولا تفريط ـ لا افراط كما غلا ابن الأزرق وجماعته ، ولا تفريط فى حق كتاب الله كما فعل بنو أمية الذين جرفتهم مفاتن الدنيا ، وتركوا حكم الله وفارقوه فقال : فاتق الله يا عبد الملك ولا تخادع نفسك فى بنى أمية وسيرتهم .

٢ ـ فقام بتقييم سيرة عثمان رضى الله عنه وبنى أمية

فأكد أن فى آخر خلافة عثمان • وقد وقع تبديل وتغيير فى نظام الحكم الاسلامى ، وقـــد اعترض حتى الصحابة عــلى سياسة عثمان لاشطاطه فى تبديل الولاة واغداق الأموال على أقربائه •

٣ ـ ثم يقول : قد سلكت طريق الضلال الذى سلكه بنو أمية من قبلك واتبعت هواك وهواهم ، فدعم هذه الفكرة بالدليل العقلى والنقلى لقول الله عز وجـل : **« ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضـلوا عن سـواء السبيل »** (المائدة : ٧٧) •

٤ ـ أما زعيـم الخوارج ـ أى ابن الأزرق (١١) فنحن نتبرأ منه لغلوه وتشدده وافراطه فى الأحكام ، حين حكم فى المسلمين المذنبين بالكفر • وهذه الفكرة التى تزعمهـا نافع ابن الأزرق تتنافى مع مبادىء الاسلام • حين حكموا على كل مسلم مذنب بكفر الشرك •

٥ ـ فهكذا نجد زعيم الاباضية يتبرأ صراحة من هؤلاء الخوارج أى الأزارقة • وكيف يعقل للباحثين قديما وحديثا أن ينسبوا الاباضية الى فئة الخوارج الذين أخطأوا فحكموا على مرتكب الكبيرة بالشرك الأكبـــر واستحلوا دمـــاء المسلمين

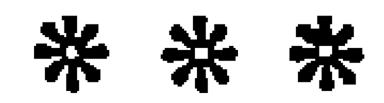
---

(١١) ر : (ف ـ ف) •

وأموالهم . أما الاباضية فتحكم علـى مرتكب الكبيرة (١٢) بكفر النفاق والنعمة (١٣) .

ولا تستحل دماء المسلمين وأموالهم ولا تخرجهم من ملة الاسلام مطلقا .

٦ ـ الخاتمة : وفى الختام قال : أجتهد لك فى النصيحة لأن الدين نصيحة . عليك أن تكون امام هدى فهو يحكم بما أنزل الله . فمن لم ينفعه كتاب الله لم ينفعه غيره . فان هـذه الرسالة وقـد انطلقت مـن الوازع الدينى ، وهـذا الوازع انبثق من عقيدة صلبة تجعل الحكم خالصا لله وحده ، ومنبثقا من كتاب الله وسنة رسول الله ، وتجعل هذا الحكم ثـابتا لا يتغير بتغير الأحوال والملابسات السياسية .



(١٢) ر : (ف ـ م) .
(١٣) ر : (ف ـ م) .

الفصل الثالث

الابـاضية والخـوارج

● هل الاباضية فرقة من الخوارج ؟

النص الأول : للأستاذ يحيى معمر المتوفى سنة ١٩٧٩ (١) :

١ ـ مدلول كلمة الخوارج :

قال : قبل أن يجيب أى باحث عن هذا السؤال ، يجب أن يحدد معنى كلمة الخوارج وما تدل عليه . يطلق بعض المؤرخين كلمة الخوارج (٢) ، على أولئك الذين اعتزلوا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عندما قبل التحكيم ورضى به ، لأنهم فى نظر هؤلاء نقضوا بيعة فى أعناقهم ، وخرجوا عن امامة مشروعة . ويطلقها فريق من المتكلمين فى أصول العقائد والديانات ، وهم يقصدون بها الخروج من الدين ، استنادا الى قول رسول الله ﷺ : « ان ناسا من أمتى يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » . وورد الحديث بروايات

---

(١) ر : (ف ـ أ) .
(٢) ر : (ف ـ ف) .

متعدده وألفاظ مختلفة . أما الفريق الثالث : فيطلقها ويقصد بها الجهاد فى سبيل الله ، استنادا الى قوله تعالى : « **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** » (النساء : ١٠٠) .

واذا أباح بعض المؤرخين لأنفسهم أن يطلقوا هذه الكلمة - كلمة الخوارج - على جميع أولئك المتمسكين بامامة على المصرين على أنها حق شرعى لا يجوز فيه التردد ، وأنه ليس من حق حتى على نفسه ، أن يشك فى امامة أجمعت عليها الأمة ، ولا أن يتساهل فيها ، أو يقبل عليها المساومة ، وأن معاوية وأتباعه فئة باغية ، يجب عليهم الرجوع الى حظيرة الامامة والأمة ، اما طوعا واما كرها بنص الكتاب فاذا رضخ على لطلب البغاة ، ووضع الحق اليقينى موضع الشك ، وتنازل عن الواجب الذى أناطته به الأمة وألزمته به البيعة فان هذه البيعة تنحل من أعناقهم ، وهم بعد بالخيار .

٢ - الثورات فى فجر الاسلام :

لكى نوضح موقف هؤلاء القوم - الخوارج - يجب أن نستعرض حركة الثورات منذ فجر الاسلام ونضع صورته الواضحة بين أيدينا ، لتصح المقارنة ، ويكون الاستنتاج أقرب الى الحق ، وأدنى الى الدقة .

توفى رسول الله ﷺ بعدما أدى الأمانة وبلغ الرسالة .

وبايع الناس أبا بكر خليفة له ، ولكن بعد هذه المبايعة مباشرة وقعت أول ثورة (٣) فى الاسلام ، من أناس كانوا يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فكـــان فى الموقف الحازم الصلب الذى وقفه منهم خليفة رســول الله . رغــم معارضة بعض الصــحابة لـه . فاستتب الأمــن ، واستقرت الأمور ، واستمر المسلمون فى أداء الرسـالة طيلـة خـلافة ابى بكر وعمر . وتولى عثمان الخلافة ، فسارت الأمور ست سنوات كاملة سيرتها فى زمن الخليفتين الســابقين ، فقد أصبح نقد أعمال الخليفة يجرى فى كثير من المجتمعات ولم تتــم ست سنوات أخرى حتى كانت الثـــورة الجامحة التى ذهبت فيما ذهبت بحياة عثمان بين سمع وبصر كثير من الصحابة ، وكانت هذه هى الثورة الثانية بعد وفــاة رســول الله ﷺ ، وبايع المسلمون عليا بن أبى طالب أميرا للمؤمنين ، وكان أول من بايع : طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام ، ولكن مــا كدت تتم البيعة حتى كان طلحة والزبير يحملان لواء الثورة مع جماعة من كبــار الصــحابة وقــد استظهروا بــأم المؤمنين عائشة ، فذهب فيمن ذهب وكانت هذه هى الثورة الثالثة فى

---

(٣) هى حركة المرتدين ، وينقسم المرتدون الى قسمين : قلة تريد العودة الى حياة الجاهلية وكثرة لا تعترف بالزكاة مــع اعترافها بتعاليم الاسلام .

الاسلام . أما معاوية فاظهر أنه يطالب بدم عثمان ، وجهز علي بن أبي طالب جيشه القوى ، وسار به نحو الشام حيث التقى بالجند الثائر في الموضع المعروف صفين وبدأت المعركة ولم يبق للقضاء على هذه الثورة الجامحة الا لحظت ، والتجأ الثائرون الى الحيلة والخدعة ولجأوا الى المكر والمكيدة ، فرفعوا المصاحف وهم يصيحون : يا أهل العراق بيننا وبينكم كتاب الله .

طلب الثائرون هدنة ، ودعوا الخليفة الشرعى وجيشه الى تحكيم حكمين . وقد فطن أمير المؤمنين وبعض من جيشه الى هذه الخدعة ، وعرفوا القصد من هذه الهدنة . ورضى بالتحكيم وقبل الهدنة وأمر بايقاف القتال فى الحال .

حين فعل على ذلك ، تداعى أولئك الذين لم يرتضوا التحكيم ، وحذروا عليا من قبوله . وهم يرون أن معاوية باغ لا حق له ، وأن بيعة على قد انفسخت بموافقته على الهدنة ورضائه بالتحكيم ، فلم تبق لأحد فى أعناقهم بيعة ، وركنوا الى موقع يسمى حروراء فانعزلوا فيه ، ينتظرون تجدد الحوادث ، واتجاه الامة فى قضية الخلافة ، ويمكن أن يسمى هذا الانعزال عن جيش على : بالثورة الخامسة وموقف أصحابنا (أى الاباضية) كان موقف المحايد الذى ينتظر مجرى الامور ، وكانت الامور تجرى بأسرع مما يتوقع لها ، فما بلغ الموعد الذى حدده الطرفان لانتهاء الهدنة حتى اجتمع الناس ،

وأعلن أبو موسى الأشعرى ـ مندوب على ـ عزل على من الخلافة ، وترك الأمر شورى بين المسلمين يختارون من يشاؤون .

وبهذه الخطوة أصبحت الأمة الاسلامية منقسمة الى ثلاث دول : دولة يرأسها معاوية وان لم يبايعه عليها أحد الى ذلك الحين ، وهولة يرأسها على بن أبى طالب بعد أن فشلت فى نظره حكومة الحكمين ، وعاد فاستمسك بالبيعة الأولى دون أن يعترف بعزل أبى موسى الأشعرى له ـ مندوبه فى قضية التحكيم ، ودولة يرأسها عبد الله بن وهب الراسبى ، بعد أن بايعه جمع كبير من الذين انفصلوا عن على عند قبول التحكيم ثم عند اعلان الحكم بعزل على عن الخلافة ، ومع كل فرقة من هذه الفرق جمع غير قليل من كبار الصحابة ، وفيهم بعض المشهود لهم بالجنة كعمار بن ياسر وحرقوص بن زهير السعدى .

بعد أن جمع الامام على جيشه ، ومن بقى تحت طاعته من الجند ، فكر فى اعادة الكرة على معاوية واخماد ثورته ومحاولة اخضاعه من جديد . ولكن بعض أصحابه أشاروا عليه بمحاربة عبد الله بن وهب الراسبى ، هذا الخليفة الجديد الذى وصل الى منصب الخلافة عن طريق البيعة وهو الطريق الشرعى للخلافة واقتنع على بصواب الرأى ، فعدل عن محاربة معاوية الى محاربة عبد الله بن وهب ، وكان أتباع عبد الله ابن وهب يعتقدون أن امامهم هو الامام الحق وأن كلا من على ـ بعد التحكيم والعزل ـ ومعاوية ثائران يجب عليهما الرجوع

الى حظيرة الامامة والأمة فأى هذه الطوائف الثائرة يمكننا أن نطلق عليه اسم الخوارج ملاحظين فيه معنى الخروج عن الاسلام ونحن مطمئنون الى صحة أحكامنا ، ومنطقية استدلالنا وعدم انسياقنا الى تيار معين من تيارات التاريخ ؟

٣ ـ المدلول البعيد لكلمة الخوارج :

كان الأمويون والشيعة يحاولون بكل ما استطاعوا ان يلصقوا هذا اللقب ـ لقب الخوارج ـ بعد أن فسر بالخروج عن الدين بهؤلاء الثائرين الذين ينادون فى اصرار وشدة بالمبادىء العادلة فى الخلافة . وكل هذه الاتجاهات تجتمع على محاربة الاتجاه الذى اتجه اليه أتباع عبد الله بن وهب الراسبى . ذلك الاتجاه العادل الذى يرى أن المسلمين متساوون فى الحقوق والواجبات « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » (الحجرات : ١٣) ، لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى » .

ان عددا من الثورات وقع منذ وفاة رسول الله ﷺ الى انتهاء خلافة الامام على بن أبى طالب فأى هذه الثورات يحق أن يطلق على القائمين بها لقب الخوارج مع ملاحظة الخروج عن الخلافة الشرعية والمروق عن الدين ؟ لتسهيل الاجابة على هذا السؤال أستطيع أن أقسم هذه الثورات الى ثلاثة أقسام : القسم الأول : ثورة ليس لها تعليل ولا أسباب غير عدم تمكن الاسلام فى قلوب القائمين بها . وعدم ايمانهم الايمان

الصحيح بتكامل الرسالة المحمدية ، ويتجلى هذا فى الثورة الأولى التى ارتد فيها فريق وامتنع فريق آخر عن أداء الزكاة .

القسم الثانى : ليس لها أسباب ظاهرة معقولة أما أسبابها الحقيقية الخفية ، فهى النزاع على مناصب الدولة ، من خلافة أو عمالة ، ويتمثل ذلك فى الثورة الثالثة التى قام بها طلحة والزبير وفى الثورة الرابعة التى قام بها معاوية بن أبى سفيان .

القسم الثالث : ثورة استندت الى أسباب ظاهرة يتراءى للناظر أنها معقولة ، ويتمثل ذلك فى الثورة الثانية التى قتل فيها عثمان ، وفى الثورة الخامسة التى اعتزل فيها جماعة من جيش على عليا بعد التحكيم ، وعزل أبى موسى الاشعرى له .

٤ ـ المدلول السياسى لكلمة الخوارج :

فلو كان المقصود من كلمة الخوارج ، هو الخروج السياسى عن خليفة تمت له البيعة الشرعية ، لكان اطلاق هذه الكلمة على طلحة أو على معاوية وأتباعه ، أو على الثائرين على عثمان أظهر وأوضح ، أما اذا لوحظ المعنى السياسى مع المعنى الدينى فانه لا يمكن اطلاق هذه الكلمة عليهم ، كما أنه من العسير اطلاقها على المعتزلين لعلى .

والسبب فى هذا العسر أن هؤلاء الثائرين سواء أكانوا من القسم الثانى أو من القسم الثالث انما ثاروا غير منكرين

لأصل من أصول الاسلام ، ولا مكذبين بمعلوم من الدين بالضرورة ، ومع كل طائفة منهم فريق من كبار الصحابة ، فيهم بعض المشهود لهم بالجنة .

٥ ـ احاديث المروق والخوارج :

ان أحاديث المروق اذا صحت لا يكون المقصود منها الا أصحاب الثورة الأولى ، أولئك الذين خرجوا على خلافة أبى بكر منكرين للشريعة ، أو لأصل من أصولها فان هؤلاء يستطيع الباحث أن يطلق عليهم كلمة الخوارج وهو يقصد بهذه الكلمة معنييها السياسى والدينى وهو مطمئن لخروجهم عن خلافة مجمع عليها ، وانكارهم للاسلام جملة بعدما آمنوا به ، أو تكذيبهم بركن ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ، انكارا استحقوا به أن يحاربهم خليفة رسول الله الأول حربا لا هوادة فيها ، مصداقا لقوله عليه السلام : « لئن أدركتهم اقتلوهم قتل ثمود » ان صح الحديث . وقد قتلهم خليفة رسول الله ﷺ قتل ثمود تحقيقا لخبره عليه السلام .

وكما يستأنس بحديث المروق فى الرواية التى تقول : « سيخرج أو يمرق » ، فان استعمال السين يدل على قرب الخروج . ويظهر من سياق الحوادث أن هذه الأحاديث التى تتحدث عن الخروج ، لم تكن معروفة عند حدوث الثورات الأولى ، والا فكيف أمكن أن لا تدور على الألسنة وأن

لا يوصف بها الخارجون عن الخلافة فى زمن أبى بكر وعثمان وعلى ، لا الخارجون عن الدين فى زمن الصديق ؟ لماذا تبقى محفوظة لا يستفيد منها أنصار الخلافة أو خصومها فى أربع ثورات جامحة ذهب ضحيتها عدد غير قليل من المسلمين الأبطال ٠ انها وضعت بعد ذلك قصدا للتشنيع على أهل النهروان ٠ ولحمل على على قتالهم والقضاء عليهم ، وخوفا من أن يتحرج على من دمائهم ، ويتردد فى قتالهم ، ويفكر تفكيرا منطقيا فى أنه قد يكون لهؤلاء حق ولرأيهم سند ، ولا يمكن القضاء على هذه الآراء الا بالقضاء على أصحابها ، فلو تردد على فى هذا الأمر وتحرز من اراقة الدماء ، فان كل شىء سوف يضيع ، ولذلك فيجب أن يحمل بشتى الوسائل والطرق على اتخاذ هذه الخطوة الحازمة الحاسمة ، وقد استطاعوا أن يقنعوه ، فاقتنع برأى الأشعث ، واتخذ هذه الخطوة ، ونفذ فكرة المناجزة ، فقضى على أهل النهروان ، ولكنه لم يستطع أن يقضى على الفكرة التى دعوا اليها ، هذه الفكرة التى تسربت بما فيها من صدق وصراحة وواقعية الى كثير من العقول ، حتى أصبحت مبدأ يناضل عنه معتنقوه بصبر وشجاعة وثبات ٠

* * *

● خلاصة البحث :

ان كلمة الخوارج ، أطلقها بعض المؤرخين على أتباع عبد الله بن وهب الراسبى اطلاقا تاريخيا وأدبيا ، بحيث لا تنصرف الى غيرهم ، وليس فى هذا كبير بحث ، فان اطلاق اسم على مجموعة من الناس ليس بذى أهمية اذا كان هذا الاطلاق مجرد تسمية . أما اذا روعى فيه مدلول دينى فانه يحسن بنا أن نتريث قبل أن نطلق هذا الحكم الرهيب ، الذى يسلطه التاريخ المغرض على رؤوس بعض الطوائف الاسلامية فى قساوة وغلظة فى الحين الذى نعترف فيه أن هذه الطوائف تؤمن برسالة محمد وبتكاملها وبما جاء فيها وتستند فى آرائها ونظرياتها الى كتاب الله وسنة رسول الله  . (نقلا عن كتابه : الاباضية فى موكب التاريخ ــ الحلقة الأولى ص : ١٩ ــ ٣٢) .

* * *

الخـوارج فى نظـر الاباضـية

يقول العلامة أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجـلانى ما يلى (١) : وزلة الخوارج نافع بن الأزرق (٢) وذويه حين تأولوا قول الله فى « **وان أطعتموهم انكم لمشركون** » (الأنعام : ١٢١) . فأثبتوا الشرك لأهل التوحيد حين أتوا من المعاصى ما أتوا ولو أصغرها . وأما المـارقة (٣) فقـد زعموا أن من عصى الله تعالى ولو فى صغير من الذنوب أو كبير أشرك بالله العظيم ، وتأولوا قول الله عز وجل « **وان أطعتموهم انكـم لمشركـون** » .

فقضوا بالاسم على جميع من عصى الله عـز وجل أنـه مشرك ، وعقبوا بالأحكام ، فاستحلوا قتل الرجال ، وأخذ الأموال والسبى للعيال ، فحسبهم قول رسول الله ﷺ : « ان ناسـا من أمتى يمرقون من الدين مروق السـهم مـن الرمـية

---

(١) توفى ٥٧٠ هـ ، ر : (ف ـ أ) يعد من أعلام الفكر الاباضى .

(٢) ر : (ف ـ أ) .

(٣) ر : (ف ـ ف) .

فتنظر فى النصل فلا ترى شيئا ، وتنظر فى القدح فلا تــرى شيئا ، وتتمارى فى الفوق » (٤) ٠

فليس فى أمة محمد ﷺ أشبه شىء بهذه الرواية منهم ، لأنهم عكسوا الشريعة ، قلبوها ظهرا لبطن ، وبدلوا الأسماء والأحكام ، لأن المسلمين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يعصون ولا تجرى عليهم أحكام المشركين ، فليت شعرى فيمن نزلت الحدود فى المسلمين أو فى المشركين ؟ فابطلوا الرجم والجلد والقطع ٠ كأنهم ليسوا من أمة أحمد عليه السلام ٠:

نقلا عن كتابه : (الدليل والبرهان ، الجزء الأول ص ١٥)

* * *

● من هم الخوارج فى نظر الاباضية ؟

يرى الاباضية أن اطلاق كلمة الخوارج على فرقة من فرق الاسلام لا يلاحظ فيه المعنى السياسى الثورى ، سواء أكانت هذه الثورة لأسباب شرعية عندهم أو لأسباب غير شرعية ، ولذلك فهم لم يطلقوا هذه الكلمة على قتلة عثمان ، ولا على طلحة والزبير وأتباعهما ، ولا على معاوية وجيشه ، ولا على ابن فندين (٥) والذين أنكروا معه امامة عبد الوهاب (٦)

---

(٤) النصل حديدة السهم ، القدح الدهم الذى فيه الحديدة ، الفوق رأس السهم الذى يوضع فيه الوتر ٠

(٥) ر : (ف ـ أ) ٠

(٦) ر : (ف ـ أ) ٠

الرستمى وانما كل ما يلاحظونه انما هو المعنى الدينى الذى يتضمنه حديث المروق والخروج عن الاسلام يكون : اما بانكار الثابت القطعى من أحكامه ، أو بالعمل بما يخالف المقطوع به من نصوص أحكام الاسلام ديانة ، فيكون هذا العمل فى قوة الانكار والرد . وأقرب الفرق الاسلامية الى هذا المعنى هم الأزارقة (٧) ومن ذهب من مذهبهم ممن يستحل دماء المسلمين وأموالهم ، وسبى نسائهم وأطفالهم .

على يحيى معمر

نقلا عن كتابه : (الاباضية فى موكب التاريخ ص ٣٣ ـ ٣٥)

* * *

● **عرض وتحليل هذه النصوص وتقييمها :**

ان النصوص التى كتبها على يحيى معمر حول موضوع الخوارج والاباضية ، قد تميزت بالعمق الفكرى والمنهجية العلمية ، فلقد اعتمد فيها على الاستقراء (٨) والقياس (٨) التاريخى شارحا ومبينا وناقدا ، مدلول كلمة الخوارج من حيث مضمونها الدينى والسياسى ، وتطورها التاريخى مستعينا فى ذلك بالوقائع التاريخية وحقائقها ، من عهد الرسول ﷺ الى ظهور الثورة الخامسة التى رفضت مؤامرة التحكيم .

---

(٧) ر : (ف ـ ف) .
(٨) ر : (ف ـ م) .

فلقد ألم بالحوادث الماما كافيا مع النقد والربط بين العلل والمعلولات ٠

وبدأ بالثورة الأولى التى قام بها المرتدون ، ثم بالثورة الثانية التى قتل فيها عثمان ، ثم بالثورة الثالثة التى قام بها طلحة والزبير ، ثم بالثورة الرابعة التى قام بها معاوية وأخيرا الثورة الخامسة التى عين فيها عبد الله بن وهب الراسبى امام المسلمين بعد مؤامرة التحكيم ، فتوصل الى النتيجة الحتمية التى تفرض بداهتها على كل منصف وباحث نزيه يريد الحقيقة العلمية ، أن مدلول كلمة الخوارج لا تنطبق على أنصار الثورة الخامسة سواء من الجانب الدينى أو السياسى ٠ وهذا الاستنتاج شبيه بالاستنتاج الرياضى التى تلزم فيه النتائج عن المبادىء العقلية (٩) اضطرارا بالضرورة والا وقعنا فى تناقض ٠

وهذا الاستدلال المنطقى قائم على الحدس (١٠) العقلى الواضح الذى لا يمكن أن يغلط فيه الانسان كمبادىء العقل التى تفرض نفسها فرضا ٠ واذا رفضناها وقعنا فى تناقض مع قوانين المنطق وحقائق التاريخ (١١) ٠

أما العلامة أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلانى ، فقد جعل حدا فاصلا بين الدلالتين المتناقضتين من حيث

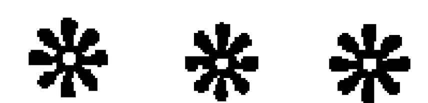
---

(٩) ر : (ف ـ م) ٠

(١٠) (١١) ر : (ف ـ م) ٠

العقيدة (١٢) ، الحد الأول : أن الأزارقة أثبتوا وأقروا الشرك للمسلمين العصاة واستحلوا دماءهم وأموالهم وهذا الأصل عندهم يخالف أحكام الاسلام . فخرجوا على الاسلام فهو خروج بالعقيدة والعمل . أما الحد الثانى فهم الاباضية لا يستحلون دماء وأموال عصاة المسلمين وأن كبائرهم (١٣) : كالزنا وشرب الخمر ، لا تخرجهم من ملة الاسلام فهم موحدون أى يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

فبعد هذا العرض والبيان الواضح يتبين لنا بكل جلاء أن الاباضية ليسوا من الخوارج .



---

(١٢) ر : (ف ـ م) .
(١٣) ر : (ف ـ م) .

الفصل الرابع

الاصـول العقـائدية

الاصـــل الاول :

التـــوحيد

● **النص الاول** ـ قال أبو زكرياء يحيى ابن أبى الخير الجناوى (١) ما يلى : اعلم أن التوحيد لا ينتفع به الا المؤمن الموفى بدين الله تعالى ، ودين الله هو الاسلام ، والاسلام ينقسم قسمين : قول وعمل ، والقول ينقسم على ثلاثة أقسام : القسم الأول الاقرار بالله أنه لا اله الا هو ، القديم بلا بداية ، الدائم بلا نهاية ، الحى بـلا تنفس ولا رطوبـة ، العالم بـلا تعلم ولا دراسة ، القدير بلا تكلف ولا مشقة ، المريد بلا شـهوة ولا حاجة ، المتكلم بـلا لسـان ولا شـفة ، السميع بـلا أذن ولا أصمخة ، البصير بلا جفن ولا حدقة . القسم الثـانى : الاقرار بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى بأنه عبد الله ورسوله ، أرسله بالهدى ، ودين الحق ليظهره على

---

(١) توفى فى القرن الخامس الهجرى ، ر : (ف ـ أ)

الدين كله ولو كره المشركون • وختم به أنبياءه ، وفضله على جميع خلقه •

(نقلا عن كتابه : الوضع ، ص ١١ ـ ١٢) •

* * *

● **النص الثانى ـ** قال الامام أبو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالى (٢) فى معرفة التوحيد والشرك ما يلى :

أما التوحيد فمعناه افراد الرب سبحانه عن الخلق وجميع معانيهم ، فحقيقة المعرفة به سبحانه أن تعلم أن الأشياء لا تشبهه ولا يشبهها فى جميع الجهات : فى فعل ولا اسم ، ولا صفة ، ولا ذات ، لأنه لو أشبه شيئا من الأشياء ولو فى أقل القليل لدخل عليه العجز من تلك الصفة ، فلهذا وجب على المكلف أن يعرف حقيقة الوحدانية لله تعالى ويصفه بما يليق به من الصفات ، وينفى عنه شبه الأشياء من جميع الجهات • وان اتفقت الأسماء فى اللفظ فليعلم أن تلك المعانى مختلفة ونظير ذلك أن الله قديم لم يزل وعالم لا يجهل ويقال لبعض الخلق قديم وعالم ولا يقال لم يزل ولا لا يجهل ، فيتفق اللفظان ويختلف المعنى لأن تأويل قول القائل : الله قديم أى من غير بدء ولا أول لوجوده والانسان قديم انما يعنى بعدد السنين والأوقات وقد كان له بدء وأول ، وكذلك قوله :

---

(٢) توفى سنة ٧٥٠ هـ ، ر : (ف ـ أ) •

فلان عالم انما أخبر عن علم استفاده بعد جهل وهو مع ذلك جاهل بأكثر الأشياء ، فالفصل بين معانى هذه الأسماء أنك تقول : الله قديم لم يزل ولا يزال ولا يجوز ذلك فى غيره وتقول عالم لا يجهل وقدير لا يعجز ، وكذلك جميع الصفات على هذا الحال . لأن الله تعالى يقول : « **ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير** » (الشورى : ١١) .

وقال : « **ولم يكن له كفوا أحد** » (الاخلاص : ٤) .

فثبت بدليل الشرع وشاهد العقل أن الله لا يشبهه شىء من الأشياء فى اسم ولا صفة ، ولا ذات ولا فعل .

(نقلا عن كتابه : قواعد الاسلام ص ٣٣ ــ ٣٤) .

* * *

● **النص الثالث** ــ قال العلامة محمد بن يوسف أطفيش (٣) ما يلى : تجب معرفة التوحيد بأنه افراد الله عن الخلق وأفعالهم وصفاتهم ، ولو تشابه معهم فى أقل قليل لدخل عليه العجز منه ولاحتاج الى ما احتاجوا . وتقول : هو عالم بمعنى أن ذاته كافية فى انكشاف المعلومات فعلمه قديم عام غير حال ، وزيد عالم بمعنى خلاف ذلك وهكذا . ومعرفة الشرك بأنه المساواة والاشراك التسوية قلت : فمن أنكر الله كالدهرية (٤) الزاعمة أن الأشياء لا محدث لها فقد سواه بغيره فى العدم .

---

(٣) توفى سنة ١٣٣٢ هـ ، ر : (ف ــ أ) .

(٤) ر : (ف ــ ف) .

ومن نسب الخلق الى غيره بلا تأويل كالديصانية (٥) الزاعمين أن النور والظلمة خالقان للأشياء وكالمجوس (٦) الزاعمين أن القبيح مخلوق للشيطان . فقد سوى غيره به فى الخلق سواه بغيره فى عدم الخلق فافهم ، ومن وصفه بصفة مخلوق فقد سواه به كاليهود القائلين بأنه فرغ من خلق السموات وقد عيى فاستلقى ووضع رجلا على أخرى تعالى الله عن ذلك .

(نقلا من كتاب : الذهب الخالص ص ٢٣)

* * *

● عرض وتحليل الأصل الأول (التوحيد) :

من خلال هذه النصوص يظهر لنا جليا أن التوحيد فى الاسلام يتمثل فى قسمين : قسم يتعلق بقلب الانسان ويسمى الايمان . والقسم الثانى يتمثل فى الاقرار برسالة الرسول وتطبيق أركانها . والايمان لا يكتمل الا عن طريق توحيد الله عز وجل ، وذلك أن لله تعالى الصفة العليا اللا نهائية فى الكمال . كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والرزق والاحياء والاماتة وأنه تعالى لا يماثله فيها ولا فى ذاته مقدار من المقادير الموجودة فى الدنيا ولا فى الآخرة . وبينت النصوص أن الله عز وجل واحد لا جنس له ولا نوع له ولا

---

(٥) ر : (ف ـ ف) .

(٦) ر : (ف ـ ف) .

فصـل له ولا ند له ولا يشاركه فى الكمـال المطلق اللا نهـائى أى شيء والله تعالى يقول : **« ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير »** (الشورى : ١١) · والفكر الاباضى يرفض كـل تيارات الالحاد والتشبيه سواء أكانت مادية أو دهرية أو يهودية أو مجوسية أو تجسيمية أو فيضية أو حلولية ·

وأما الصفات المستحيلة عن الله عز وجل فهى الحدوث ، والعدم ، والفناء ، والموت ، والجهل ، والعجز ، والاكراه ، والصـمم ، والعمى · والتسـوية بينه وبين خلقه فى الذات أو الصفات ·

والتوحيد هو الأساس الأصيل فى ترسيخ عقائد الاسلام ، فبدونه لا يمكن أن يتمتع المسلم بعقيدة صلبة فاذا اسـتقرت هذه العقيدة فى حياة المسلم كانت الثمرة المرجوة فى القول والعمل باذن الله · وكل المدارس الكلامية اقرت على أن الله واحد ليس كمثله شيء ـ ما عدا المشبهة (٧) والقائلة ان الله نه صفات مثل صفات الانسان تعالى الله عن ذلك ·

❋ ❋ ❋

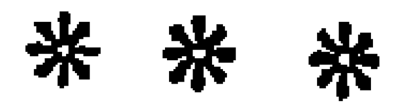
● **الخلاصة العامة من النصوص :**

تؤكـد أن الله واحـد فى ذاته وصفاته ، وأن ذات

---

(٧) ر : (ف ـ ف) ·

الله وصفاته شيء واحد . ولا يشاركه فيه شيء ما بأى حـــال من الأحوال ، وبأى وجه كان ، مع الاقرار والاعتقاد بأن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله أى : أن الله هو المالك الوحيد الخالق لهذا الكون ، والمدبر الوحيد الكامل لكل ما يقع فبه من أحداث . وأن محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والرســل ورسالته حق على العالمين مع الالزام بتطبيقها واتباعها فى هذه الحياة .



الأصـــل الثـــانى :

الصـــفات الالهيـــة

● **النص الأول** ـ لأبى عمار عبد الكافى الاباضى (١) .

القول فى صفات الله سبحانه وتعالى : فمن سألنا عن الله جل جلاله فقال : هل تصفون ربكم أم لا تصفونه بصفة ؟ قلنـا : نعم ، انا نصف الله جل جلاله بصفاته الحسنى التى لا تليق الا به ، وننفى عنه صفات المحدثين وذلك انا نصفه بالقدم ، اذ لابد لوجوده تعالى ، وننفى عنه الحدوث لما ثبت من حاجة المحدث الى محدث يحدثه ، وقد بينا فساد تسلسل ذلك الى ما لا نهاية له من الفساد فى كتابنا (٢) فوجب بذلك أنه قديـم لا أول لوجوده ، ونصفه بانه باق لا يفنى ، لاستحالة الفناء على ما يستحيل عليه الحدوث لأنه لـما كان سبحانه وتعالى موجودا لا بعد عدم ، بطل عنه أن يكون معدوما بعد وجـود ونصفه بانه حـى عليم حكيم قدير مريد ، سـميع بصـــير ، لاستحالة وجود الأفعال من الأموات ، وبطلان وقوعهـــا من الجاهلين العاجزين ، يتعالى ربنا عن صفات النقص علوا كبيرا فان قال : أخبرونى عن هذه الأشياء التى وصفتموه بها من الحياة والعلم والحكمة والقدرة ، والارادة ، والعزة ، والسمع

---

(١) توفى سنة ٥٧٠ هـ : ر (ف ـ أ) .
(٢) ر : (ف ـ م) .

والبصر ، أهو شىء لم يزل به أم هو شىء استحدثه لنفسه ؟ أم كيف القصة فى ذلك ؟ قلنا : ان الله تعالى لم يزل موصوفا بما ذكرناه من الحيـــاة والعلم والحكمة والقـــدرة والارادة والعزة ، والسمع والبصر ، فى سائر تلك الصفات ولا يزال موصوفا بها من قبل أنه لا تعدو تلك الصفات اذا كانت حادثة اليه وجوها ثلاثة اما أن تكون حدثت اليـــه من غـــير محدث أحدثها ، أو حدثت بمحدث أحدثها له ، وهـــو غيره ، أو أن يكون استحدثها لنفسه ، وبطل أن تكون تحدث من غير محدث لما بينا من فساد القول بأن شيئا يحدث بلا محدث فى غير موضـــع من كلامنا وفسد أن يكون غيره أحدثهـــا له ، اذ كان الغير يجب فيه من القـــول مثل ما يجب فى هـــذا الموصوف ، ولا ينفك مما لا ينفك منه هـــذا الموصوف ، فيتسلسل ذلك الى ما لا نهاية له ، وفسد أن يكون هو الذى أحدثها لنفســـه ، لأنه لـــو كان الأمر كذلك ، لوجب أن يكون من قبـــل أن يستحدثها لنفســـه ، ليس بحـــى ولا عـــالم ولا حكيم ، ولا قادر ، ولا سميع ، ولا بصير ، فمن كان بهذه الهيئة ، لم يقدر على أن يحدث علما ، ولا قدرة ، ولا شيئا من الأشياء ، فلما بطلت هذه الوجوه الثلاثة ، واضمحل القول بها ، لـــم يبق الا القول بأنه لم يزل ربنا جل وعلا حيا ، عالما ، قديرا سميعا ، بصيرا فى سائر صفاته ولا يزال كذلك .

(نقلا عن كتابه : الموجز ، الجزء الأول ، ص ٤٢٩ — ٤٣٠) .

* * *

● النص الثانى ـ لأبى محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالمى (٣) ٠

كتب فى الصفات الالهية ما يلى :

صفاته لـــذاته هى ذاتـــه   لا غيرها دلت بـــذا آياته

ان صفاته تعالى الذاتية عين ذاته أى مدلول صفاته الذاتية هى ذاته العلية ليس غيره عز وجل لأنها لو كانت غيره للزم اما أن تكون موجودة قبله وهو باطل لاستلزامه أن يكون الله حادثا تعالى عن ذلك ٠ واما أن تكون موجودة بعده وهو باطل أيضا لاستلزامه أن تكون الذات تعـالى ، قبـل وجود تـلك الصفات غير متصفة بالكمالات فيلزم اتصافها بالنقص ، وامـــا أن تكون مقارنة له فى الوجود وهو باطل أيضا ، لاستلزامه تعدد القدماء ، والقول بتعدد القدماء وبه كفرت النصـارى ٠

فعلى تسليم أن تكون صفاته الذاتية غير ذاته يلـزم ان يكون الرب تعالى محتاجا الى ذلك الغير ناقصا بدونه تعالى الله عن ذلك ٠ وما قررناه هنا هـو مذهبنا ـ أى الاباضية ـ ومذهب المعتزلة (٤) والشيعة (٥) وذهبت الأشعرية (٦) الى أن صفات الله تعالى هى معان حقيقية قائمة بذاته زائـــدة عليها فهو عندهم عالم بعلم وقادر بقدرة ومريد بارادة ٠

(نقلا عن كتابه : مشارق أنوار العقول ، ص ١٧٥) ٠

---

(٣) توفى سنة ١٣٣٢ هـ ، ر : (ف ـ أ) ٠

(٤) (٥) (٦) ر : (ف ـ ف) ٠

● عرض وتحليل الأصل الثانى (الصفات الالهية) :

ان النصوص التى عالجت أصل الصفات الالهية هنا قد أكدت صفات الكمال لله عز وجل . بأنها جوهره أى ذاته (٧) .

ولكن المذاهب الكلامية الأخرى ، قد اختلفت فى ماهية الصفات الالهية فهل صفات الله هى عين ذاته ؟

فالأشعرية ترى أن صفات الله غيره ، وهى قديمة بقدمه تعالى معنى هذا . فالعلم صفة ثابتة قديمة من صفاته تعالى ، ولكنها ليست جوهره أى ذاته . فلا يقال : ان الله مريد بارادة وارادته ذاته . أما الاباضية فتقول : ان صفات الله هى عين ذاته . والله قادر بذاته ـ أى أن ذاته كافية فى التاثير فى جميع المقدورات فصفات الله عز وجل هى عين ذاته . لأن الله قديم ، وصفة القديم مثله فى القدم . فاذا كانت شيئا غيره كان هناك قديمان أو أكثر ، وهو تصور يتنافى مع أصل التوحيد ، ولا يجوز اعتبار الصفات مستقلة محدثة . اذ يصبح الله تعالى محتاجا الى أعراض ، وأجزاء ، ويغدو مركبا ، وهذا يتنافى ووحدانية الله . فهكذا قد أكد أبو عمار والشيخ السالم أن صفات الله أزلية قديمة وغير محدثة والا وقعنا فى الدور ، وهو توقفُ كلٍ واحد من الشيئين على الآخر .

---

(٧) ر : (ف ـ م) و (ف ـ ف) .

ويتعدد القدماء ، فهذا يتنافى مع أصـــل التوحيد الذى عالجناه من قبـــل وأن هـذا الأصل الثانى يتطابق مع رأى المعتزلة والشيعة ويخالف رأى الأشعرية التى ترى أن صـفات الله حقيقة أزلية ولكنها ليست عين ذاته ٠



الأصـــل الثـالث :

الايمـــان

● **النص الأول – لأبى عمار عبد الكافى الاباضى (١)** المتوفى سنة ٥٧٥ هـ • قال : اختلفت النـاس فى الايمـان وفى تثبيته على أصل قولين : قالت المرجئة (٢) : ان الايمان هو ما تعبد الله به عباده ، ودعاهم اليه من توحيده بصفاته • ونفى الأشباه والأنداد عنه ، فى جميع ما لا يليق به من صفات خلقه ، فكل من وحد الله بصفته ونفى عنه صفة خلقـه سمى مؤمنا مستكمل الايمان وما عدا ذلك من جميع ما أمـر الله به عباده ، وتعبدهم به ، من فعل جميع ما افترض عليهم من فرائض ، وتـرك جميع ما نهاهم عنـــه من المعـاصى فليس بايمان ولا هو لله بدين ، ولا اسلام • ثم افترقوا فيما بينهـم على طوائف ثلاث : فقالت طائفة منهم : ان الايمان من ذلك هو المعرفة لله بالقلب والاعتقاد بالضمير ، دون الاقرار بذلك باللسان • وقالت الثانية : بـــل الايمان هو الاقرار بتوحيد الله ، ونفى الأشباه عنه باللسان دون المعرفة بالقلب والضمير فى النفس •

وقالت الطائفة الثالثة : بـــل لا يكون كـــل واحد منهما

---

(١) ر : (ف ـ أ) •
(٢) ر : (ف ـ ف) •

ايمانا دون الآخر ، فمتى اجتمع من ذلك اقـرار باللسان ، وضمير بالقلب ، سمى جميعه ايمانا ، وسمى فاعله مؤمنا ، واذا كان أحدهما دون الآخر بطلت التسمية لـه بأن يكـون ايمانا وبطل أن يسمى فاعل بعض ذلك دون بعض مؤمنـا وشبهوا ذلك فيما زعموا بالأبلق الذى لا يسمى بأحـد اللونين أبلق ، واذا اجتمع عليه كلا اللونين سمى أبلق (٣) .

وقال جميع الفرق ، من الأزارقة ، والاباضية ، والزيـدية والمعتزلة ، والحشوية (٤) : ان الايمان هو جميع ما أمر الله به عباده ، وتعبدهم به من فعل جميع ما افترض عليهم من الفرائض ، وترك جميع ما نهاهم عنه من المعاصى فكل ذلك ايمان لله ، ودين له ، واسلام وكله ايمان ، وبعضه ايمان ، ما كان من ذلك توحيدا لله ، وما كان منه غير توحيد ، فمن استكمل ذلك سمى مؤمنا ، ومن لـم يستكمل ذلك واقتصر على فعل التوحيد دون فعل الفرائض ، وترك المعاصى ، بطل أن يسمى مؤمنا .

(نقلا عن كتابه : الموجز ـ الجزء الثانى ، ص ٩١ ـ ٩٢) .

* * *

---

(٣) أى المزج بين اللون الأبيض والأسود .
(٤) ر : (ف ـ ف) .

● النص الثانى – لأبى زكريـــاء يحيى بن أبى الخير الجناوى (٥) ٠

قال : اختلف الناس فى الايمان على قولين ، فقالت المرجئة الايمان هو ما أمر الله به من توحيده ونفى الأشباه عنـــه ، ومن الأمثال وما لا يليق به من صـفات خلقه فقط ، ومـــا استوى ذلك من أوامر الطاعة ونواهى المعصية ، فليس عندهم بايمان ولا بدين ، ولا اسلام ٠

وقالت الأشعرية : من أتى بالقول وضيع العمل ، فهـو مؤمن مسلم عاص مذنب ليس بمشرك ولا كافـــر ولا ضـــال ولا فاســـق ، ان شاء الله عذبه وان شـاء رحمـــه ٠ وقالت المرجئة : من أتى بالقول وضيع العمل فهو مؤمن مسلم ليس بمشرك ولا كافر ولا ضال ولا فاســـق ٠ وقالـــت الابـــاضية والزيدية والشيعة (٦) : من أتى بالقول وضيع العمـل فهـــو كافر منافق ضال فاسق عاص ليس بمؤمن ولا بمســـــلم ولا بمشرك ٠ وأحكامه أحكام الملـة الاسـلامية والملة كل شريعـة وطريقة شرعهـــا قـــوم لأنفسهم واتـخذوهـــا دينـــا ٠ والدين والايمان والاسلام : أسماء مختلفة لشىء واحد وهـو طاعة الله تعالى ، يقال : كل ايمان دين وكل اسلام دين ، ولا يقال :

---

(٥) توفى فى النصف الأول للقـرن الخـامس الهجرى ر : (ف ـ أ) ٠

(٦) ر : (ف ـ ف) ٠

كل دين اسلام ، ولا كل دين ايمان ، لأن الدين فى لغة العرب ينصرف على وجوه يكون الدين بمعنى الطاعة .

(نقلا عن كتابه : الوضع ، ص ١٤ ـ ١٦) .

❋ ❋ ❋

● عرض وتحليل الأصل الثالث (الايمان) :

ان النصين قد عالجا ، أصلا من أصول الاسلام وهو الايمان . فهل مدلول الايمان واحد عند جميع المذاهب الاسلامية ؟ لا يمكن الاجابة عن هذا السؤال الا اذا حللنا مدلول الايمان عند الفرق الاسلامية فالاباضية يرون أن الدين والايمان والاسلام أسماء لشىء واحد وهو طاعة الله تعالى وتطبيق قواعد الاسلام تطبيقا عمليا على حسب النصين لذا قيل فى مقدمة التوحيد عند الاباضية ان قيل لك : ما قواعد الاسلام ؟ فقل أربعة : العلم ، والعمل ، والنية ، والورع (٧) .

فالاسلام لا يصح الا بهذه الأركان الأربعة ولا يجوز الفصل بين القول والعمل . القول هو الاقرار : بالله أنه لا اله الا هو وبمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى بأنه عبد الله ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وختم به أنبياءه وفضله على جميع خلقه . واتيان بجميع أركان الاسلام ،

---

(٧) مقدمة التوحيد ، لأبى حفص عمر بن جميع ، ص ٥٠

واجتناب جميع المحرمات والوقوف عند الشبهات ، فهذه الاصول تناقض رأى المرجئة التى ترى أن الأعمال شىء وأن الايمان شىء آخر ٠

فالايمان فى زعمها هو التصديق بالقلب فقط ، فان النصوص قد شرحت وفصلت بين رأى المرجئة والاباضية ٠ فالاباضيون يؤكدون أن الايمان بدون تطبيق فرائض الاسلام لا معنى له ٠ والا أصبح فكرة جوفاء ٠ فهكذا نجد أبا عمار فى نصه ينتقد ويفند آراء المرجئة حين حصرت الايمان فى توحيد الله والخضوع له دون الاتيان بالفرائض وقد دعم رأيه بالأدلة العقلية والنقلية ٠ ونحن نلاحظ أن البيئة السياسية الأموية قد ساعدت هذا التيار الارجائى الجديد لتبرير سلطتهم الحاكمة حتى يستقر لها زمام الرئاسة والحكم ٠

وأما الأشعرية (٨) فترى أن الايمان من أتى بالقول ، وضيع العمل وهذا الانسان تراه مسلما عاصيا ، مذنبا فليس بمشرك ٠ أما الاباضية فتراه فاسقا عاصيا موحدا (٩) ولا يخرج عن ملة الاسلام وتجرى عليه أحكام المسلمين وقد اعتنقت المعتزلة والشيعة والزيدية رأى الاباضية فى هذا الأصل ٠

* * *

---

(٨) ر : (ف ــ ف) ٠
(٩) ر : (ف ــ م) ٠

الأصــل الرابـــع :

نفى رؤيـة الله عـز وجـل

● **النص الأول** - جاء فى كتاب الجامع الصحيح (١) الجزء الثالث ، (ص ٢٦ ، ٢٩) ما يلى : النظر فى اللغة قال الربيع (٢) : ان النظر هو الانتظار لقول الله عز وجل : « **ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهــم يخصمون** » (يس : ٤٩) يعنى ما ينظرون وليس معنى - النظر بالابصار .

وقال الله عز وجل : « **وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق** » (سورة ص : ١٥) .

وقال : « **هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة** » (الأنعام : ١٥٨) . ونحوه من القرآن ومصداق ذلك فى اللغة قــول القائل : انما أنظر الى الله ، ثم اليك ، يعنى ينتظر ما يأتيه من قبله .

---

(١) ان الجامع الصحيح أصح كتب الحديث رواية وسندا فالاباضيون يعتمدون عليه بعد القرآن الكريم . أما روايتـــه واسنـــاده فجـــاءت عن طريق الربيـــع بن حبيب الأزدى البصرى الذى يعـــد من أقطاب الطبقة الرابعة التى تمتـــد ما بين سنة ١٥٠ - ٢٠٠ هـ وقد توفى رحمه الله سنة ١٧٠ هـ انظر أجوبة ابن خلفون ، ص ١٠٧ .

(٢) انظر الدرجينى : الجزء الثانى ص ٢٧٣ .

والرؤية قد تكون بغير البصر قال الله عز وجل : « **ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا** » (الفرقان : ٤٥) ، وقوله : « **أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة** » (يس : ٧٧) . وانما يعنى بهذا كله وأشباهه العلم واليقين ولا يريد رؤية الأبصار .

قال : حدثنا افلح بن محمد عن أبى معمر السعدى عن على ابن أبى طالب فى قوله : « **وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة** » (القيامة ٢٢ ، ٢٣) ، قال تنضر وجوههم وهو الاشراق « **الى ربها ناظرة** » ، قال تنتظر متى يأذن لهم ربهم فى دخول الجنة ولا يعنى الرؤية بالأبصار لأن الأبصار لا تدركه كما قال : « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** » (الأنعام : ١٠٣) .

* * *

● **النص الثانى** ـ لأبى محمد عبد الله بن حميد السالمى (٣) قال : اعلم أن للرؤية تسع شرائط : الأول سلامة الحاسة ، والثانى كون الشىء جائز الرؤية مع حضوره للحاسة ، والثالث مقابلته للباصرة فى جهة من الجهات ، أو كونه فى حكم المقابلة كما فى المرئى بالمرآة ، والرابع عدم غاية الصغر فان الصغير جدا لا يدركه البصر قطعا ، والخامس

---

(٣) ر : (ف ـ أ) .

عدم غاية اللطافة بأن يكون كثيفا ، أى ذا لون فى الجملة وان كان ضعيفا ، والسادس عدم غاية البعد وهو مختلف بحسب قوة الباصرة وضعفها ، والسابع عدم غاية القرب فان المبصر اذا التصق بسطح البصر بطل ادراكه بالكلية ، والثامن عدم الحجاب الحائل وهو الجسم الملون المتوسط بينهما ، التاسع أن يكون مضيئا بذاته ، أو بغيره .

واذا عرفت هذه الشرائط ظهر لك والحمد لله استحالتها على الله تعالى لأنها لا تعقل الا فى جسم ، والله تعالى ليس بجسم ولا عرض قالوا : هذه الشرائط ، انما فى رؤية الشاهد ، ولا تحمل عليها رؤية الغائب .

قلنا لم تعقل العرب من الرؤية الا ما ذكرنا ، ولم يخاطبهم الله الا بما يعقلون . وأيضا فقد قستم الغائب على الشاهد فى الصفات الذاتية ، حيث قلتم : انه تعالى عالم وقادر بقدرة الى آخرها ، فما بالكم تركتم أصلكم ههنا . فان قيل دعوى استحالتها عقلا لا تتم لاختلاف كثير من العقلاء فى وقوعها . وما اختلف فى وقوعه العقلاء دل على جواز وقوعه قلنا : لا نسلم ذلك فان العرب الجاهلية أهل عقول ، وقد ادعوا تعدد الآلهة أيكون ادعاؤهم ذلك دليلا على جواز تعددها .

(نقلا عن كتابه : مشارق أنوار العقول ، ص ١٩٨) .

* * *

● **عرض وتحليل الأصل الرابع (نفى رؤية الله عز وجل) :**

عندما نقوم بتحليل فقرات هذه النصوص يتاكد لنا سمو وعلو المستوى العقلى الذى يتمتع به الفكر الاباضى ، فى فهم وادراك المجازات اللغوية ، والابتعاد عن الاتجاه التجسمى الذى لا يؤمن الا بما هو متصور ومجسم ومحسوس وله نظير وشبيه فى الواقع المادى ٠

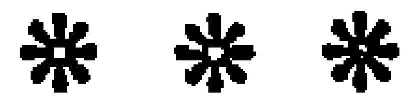
وهكذا نرى الاباضية يفتحون باب الاجتهاد والتاوين معتمدين فى ذلك على الأدلة العقلية والنقلية لتدعيم النص القرآنى المتشابه بالدليل اللغوى ـ المتمثل فى لغة العرب الجاهلية ٠

ويرون فى كتاب الله عز وجل ظاهرا وباطنا ٠ فقول الله عز وجل : « **وجوه يومئذ ناضرة ٠ الى ربها ناظرة** » ٠ فهذه الآية من المتشابهات يجب تاويلها لغويا وعقليا فى آن واحد لأن اللغة هى الفكر فهى تحمل المعانى الفكرية ٠

ويفهم منها الرجاء وانتظار رحمة الله للدخول فى الجنة بعد الفراغ من الحساب ولا يعنى الرؤية بالأبصار ٠ ثم أن هذه الآية تدعمها وتوافقها هذه الآية الكريمة المحكمة الواضحة « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** » وهذا الاستدلال العقلى والاجتهاد النظرى يعد وسيلة لاثبات وتوكيد توحيد الله وتنزيهه من كل شىء ٠

أما الأدلة العقلية فتمثلت فى ما يلى : لو أمكنت رؤية الله لكان جسما ومتحيزا وموجودا فى مكان أمام حواسنا أو كونه فى حكم المقابلة كما فى المرئى بالمرآة ، وكذلك عـــدم غايـــة القرب فان المبصر اذا التصق بسطح البصر بطل ادراكه بالكلية .

فبعد هذه الأدلة ، فان الاباضية تجزم بامتناع رؤية الله في الدنيا والآخرة . فهذا الأصل قد اعتنقته المعتزلة والشيعة (٤) ويخالف رأى الأشعرية (٥) التى ترى أن الله يرى بالأبصار ، ولكن فى غير حلول .



---

(٤) و (٥) ر : (ف ـ ف) .

الأصـــل الخامـــس :

القـــدر (١)

● **النص الأول** ـ قال الربيع (٢) : بلغنى عن عبادة ابن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « انك لن تجد ولن تؤمن وتبلغ حقيقة الايمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره أنه من الله » قالت : قلت يا رسول الله ، كيف لى أن أعلم خير القدر وشره ؟ قال « تعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك فان مت على غير ذلك دخلت النار » . (نقلا عن الجامـــع الصحيح (٣) الجزء الأول ، ص ١٩ ـ ٢٠) .

* * *

● **النص الثانى** ـ رأى أبى عبيدة (٤) فى القدر ومجادلته مع واصل بن عطاء (٥) :

وحكى بعض أصحابنا أن واصل بن عطاء المعتزلى صاحب عمرو بن عبيد كان يتمنى لقاء أبى عبيدة ، ويقول : لـــو قطعته قطعت الاباضية ، قال : فبينما هو فى المسجد الحرام

---

(١) ر : (ف ـ م) .
(٢) ر : (ف ـ أ) .
(٣) راجع التعليق السابق فى موضوع الرؤية .
(٤) و (٥) ر : (ف ـ أ) .

ومعه أصحابه ، اذ أقبل أبو عبيدة ومعه أصحابه ، فقيل لواصل : هذا أبو عبيدة فى الطواف ، قال : فقام اليه واصل فلقيه ، وقال : أنت أبو عبيدة ؟ ، قال : نعم ، قال : أنت الذى بلغنى أنك تقول : ان الله يعذب على القدر ، فقال أبو عبيدة ما هكذا قلت ، لكن قلت ان الله يعذب على المقدور ، فقال أبو عبيدة : وأنت واصل بن عطاء ؟ قال : نعم ، قال : أنت الذى بلغنى عنك أنك تقول ان الله يعصى بالاستكراه ؟ قال : فنكس واصل رأسه فلم يجب بشىء ٠ ومضى أبو عبيدة وأقبل أصحاب واصل على واصل يلومونه يقولون كنت تتمنى لقاء أبى عبيدة ، فسألته فخرج وسألك فلم تجب ! فقال واصل : ويحكم بنيت بناء منذ أربعين سنة فهدمه وأنا قائم ، فلم أقعد ولم أبرح مكانى ٠

(نقلا عن كتاب : طبقات المشائخ للدرجينى ، الجزء الثانى ص ٢٤٦) ٠

* * *

● **النص الثالث** ـ قال الامام أبو طاهر اسماعيل ابن موسى الجيطالى (٦) : اعلم أن القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والكسب لا يتضادان (٧) ، وذلك أن تعلم أن ما قضى

---

(٦) توفى سنة ٧٥٠ هـ ، ر : (ف ـ أ) ٠

(٧) ر : (ف ـ م) ٠

الله تعالى فهو كائن لا محالة ، كما ما علم الله أن يكون فهو كائن لا محالة ، ومن خالفنا فى القضاء والقدر وافقنا فى العلم . فرب أمر قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فلا يصل اليك الا بالطلب . والطلب أيضا من القدر ولا فرق بين الأمر المطلوب وبين الطلب فانهما مقدوران فمن هنا ثبت أنهما لا يتنافيان ، وكذلك التوكل مع الكسب لأن التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا يتضاد شيئان فى محلين ، فبهذا يتحقق العبد أن التقدير من الله ، فان تعذر شىء فبتقديره ، وان اتفق فبتيسيره ، وفى الحديث : جاء رجل الى النبى عليه السلام على ناقة له فقال : يا رسول الله : ، أدعها وأتوكل ؟ فقال : « اعقلها وتوكل » . فالتوكل على الله تعالى هو الثقة بما ضمنه والقطع بكون ما يحكم به ، فمن رام أمرا من الأمور فليس الطريق فى تحصيله أن يغلق بابه عليه ، ويفوض أمره الى ربه وينظر ذلك الوجه الذى أراده ، وقد روى أن النبى عليه السلام ظاهر بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة يستظهر به ويتحرس من العدو وأقام الرماة يوم أحد يحتفظ بهم من الكفار ، ويلبس لامة الحرب ، واسترقى واكتوى وتداوى وأمر بالمداواة وقال : « ان الذى أنزل الداء هو الذى أنزل الدواء » وأمر الله تعالى الايمان بقضائه وقال لنبيه : « **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا** » (التوبة : ٥١) .

وأمر عباده أن يأخذوا بالحذر وقال : « **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** » (النساء : ٧١) .

وقد قال الله تعالى لمريم عليها السلام : « **وهزى اليك بجذع النخلة** » (مريم : ٢٥) .

وقال : « **فـاذا قضيت الصـلاة فانتشروا فى الأرض** » (الجمعة : ١٠) . ولم يأمر بالقعود ، وقد قيل عن بعضهم : من لزم المسجد وقبل كل ما يأتيه فقد سأل النـاس الحـافا ، أى التأكد والطلب والالحاح على الصدقة .

(نقلا عن كتابه : قواعد الاسلام ـ الجزء الاول ، ص : ٣١ ، ٣٢) .

* * *

● **النص الرابع** ـ قال الشيخ محمد بن يوسف أطفيش (٨):

يجب الايمـان بالقـدر وهـو ايجـاد الله الأجسـام والأعراض (٩) ، وبالقضاء وهو الحكم بها فى الأزل (١٠) ، فهو صفة ذات ، أو اثباتها فى اللوح فهو صفة فعل ، وزعمت المعتزلة (١١) ، أن الفاعل باختيار خـالق لفعله وأن فعـل الاضطرار مخلوق له سبحانه . أو للطبيعة ، أو لا فاعل له على أقوال عندهم ، قلت : ولا حجة عليهم فى اقرارهم بأن الله عالم

---

(٨) توفى سنة ١٣٣٢ هـ ، ر : (ف ـ أ) .
(٩) و (١٠) ر : (ف ـ م) .
(١١) ر : (ف ـ ف) .

بما سيفعلونه كما توهم بعضهم فانه بمنزلة قولهم انه عـــالم بما سنخلق بل الحجة فى قوله تعـالى : « **وخلق كـل شىء** » (الفرقان : ٢) وقوله جل وعلا : « **هلْ من خالقٍ غير الله** » (فاطر : ٣) ، وفى أن الانسان مثلا لو كان خالقا لفعله لكان فاعلا لكل ما أراد وفى أنه لو كان خالقا له لكان عالما بكيفيته وكميته وتفصيله قبل أن يخلقه ، ولا يدخل الله فى شىء من قوله : « **وخلق كل شىء** » لأن دخولـه يسـتلزم الحـدوث ، والمعدوم لا فعل له ونافقوا بذلك ولولا تأويلهم لأشركوا ومن قال بذلك لقصور عقله لا بقطع عذر مخالفة مثل من يرى أن ريح المروحة خلق له لم يكفر نفاقا ولا شركا ودخل اعتقاده فى الخطأ المرفوع عما قاله بعض محققى أصحابنا ـ أى الاباضية ـ والطلب من نفس المقدور فلا ينافى القدر .

(نقلا عن كتابه : الذهب الخالص ص ٢٢) .

* * *

● **عرض وتحليل الأصل الخامس (القدر) :**

من خلال هذه النصوص ، يظهر لنا جليا ، أن مشـــكلة القدر ارتبطت دوما بمصير الانسان عامة والمسلم خاصـــة . وهذه المشكلة الفلسفية الميتافزيقية (١٢) لا تزال مطروحة فى المذاهب الفكرية المعاصرة الى حد الساعة .

---

(١٢) ر : (ف ـ م) .

أما بالنسبة للمسلمين الأوائل فقد اعتبروا الدين هو الايمان والايمان هو الدين واعتقدوا بالقدر خيره وشره دون الخوض فى الآيات القرآنية المتشابهة التى تتناول حرية الانسان ، هل الانسان حر من قضاء الله وقدره ؟ أم مقيد به ؟

أما فى العصر الأموى والعباسى فما بعدهما ، فقد ظهر اتجاهان متعارضان لهذه المشكلة هما :

١ ـ ان الانسان مسير لا مخير ازاء قدرة الله المطلقة الخالقة لكل شىء وتزعم هذه الفكرة جهم بن صفوان المتوفى ١٢٨ هـ ، ودعم رأيه بالأدلة النقلية كقول الله عز وجل : « **والله خلقكم وما تعملون** » (الصافات : ٩٦) ، « **قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار** » (الرعد : ١٦) .

٢ ـ الاتجاه القدرى الذى تزعمه معبد الجهنى المتوفى سنة ٨٠ هـ ، ومدرسة الاعتزال التى تزعمها واصل بن عطاء . ان هذا المذهب اعتمد على العقل حين أكد أن الانسان هو الخالق لأفعاله ، بدليل اذا أراد الحركة تحرك واذا أراد السكون سكن ، ومن أنكر ذلك جحد الضرورة (١٣) ثم دعم رأيه بالأدلة النقلية كقول الله عز وجل : « **كل نفس بما كسبت رهينة** » (المدثر : ٣٨) . وقال الله عز وجل فى آية أخرى :

---

(١٣) ر : (ف ـ م) .

« وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »
(الكهف : ٢٩) .

أما النصوص التى بسطت هنا وتعارض المذهب القدرى الذى يدعى أن الانسان هو الخالق لأفعاله . ومعنى هذا أن الله ظالم لعباده - تعالى الله عن ذلك - وتعارض كذلك رأى الجبرية حين تنفى من الانسان كل مسئولية وأعطت مفهوما أصيلا يتمثل فى القدرة المرتبطة بالمقدور بمعنى الكسب (١٤) أى أن للانسان قدرة على الفعل والله عز وجل هو الذى خلق فينا القدرة ولا يحاسبنا على هذه القدرة . بل ان الحساب ينصب على الأعمال التى اكتسبها الانسان اكتسابا عن طريق جوارحه وارادته الحرة فالكسب اذن عند الاباضية يقوم مقام الخلق عند القدرية ومدرسة الاعتزال . كالمسلم الذى صام رمضان - فأكل يوما متعمدا فان ظاهرة الجوع والعطش أمر جبرى من عند الله عز وجل لأننا لا يمكن أن نزيل دوافعنا الفطرية ، أما التعمد فى الأكل وعدم ضبط الدوافع بارادة قوية فأمر مكتسب من الانسان ذاته . اذن ليس هناك تعارض بين ارادة الله عز وجل وعمله الأزلى القديم مسبقا وبين كسب الانسان . لقد صدق أبو عبيدة حين قال : ان الله يعذب على المقدور لا على القدر - فرأى الاباضية يعارض صراحة الاتجاه القدرى .

---

(١٤) ر : (ف - م) .

أما بالنسبة الى الأشعرية وابن رشد (١٥) فقد سلكوا نفس المسلك الذى سلكته الاباضية .

والخلاصة العامة : أننا نلاحظ أن النصوص من ناحية المضمون أى الجوهر تسعى أن تبين أن المؤمن الصالح عليه أن يعتقد بالقدر خيره وشره أنه من الله ولن يبلغ حقيقة الايمان حتى يؤمن بذلك . مع العمل الدائم وعدم التوكل اعتمادا على سيرة الرسول وأقواله حين قال أعرابى للرسول صلى الله عليه وسلم : أرسل ناقتى وأتوكل على الله ؟ فقال : « بل اعقلها وتوكل » .



(١٥) ابن رشد : هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد ولد بقرطبة ٥٢٠ هـ ، وتوفى ٥٩٥ هـ ، أهم كتبه : تهافت التهافت ـ فصل المقال .

الأصـــل الســـــادس :

العدل والوعد والوعيد (١)

● **النص الأول ـ لأبى عمار عبد الكافى الاباضى (٢) :**
قال : اختلف الناس فى اثبات وعـــد الله ووعيـــده عـــلى اختلافهم فى التسمية بالايمان ، فقالت المرجئة والحشوية (٣) كل من سميناه بأنه مؤمن للذى أتى بـــه من توحيـد الله عز وجل مع تضييعه ما أمر الله به من الفرائض التى هى دون التوحيد ، ومع ركـوبه الذى نهى الله عنه من المعـاصى التى هى دون الشرك ، فواجب له وعد الله عز وجـــل بثوابه فى الميعاد على كل حال ، وتوقفوا فى انجاز وعيد الله لمـن كـان بهذه الصفة التى ذكرناها ، واضطربت فيه كلمتهم ، وتشـتت أمرهم فمن قائل يقول : بأن أمة محمد لا تعرض على النـار ، ومن قائل يقول بأنه يعذب المذنبين منهم على قدر ذنوبهـم ، ثم يخرجون فينجز لهم بعد ذلك ما وعد لهم من الثواب ، ومن قائل بالتوقف عن ذلك والشك فيه ولذلك سموا مرجئة لأنهـم أرجوا أهل الكبائر (٤) أى أخروهم ، وتركوا القول فيهم ،

---

(١) الوعد : الثواب بالجنة ، والوعيد : العقاب بالنار .
(٢) توفى سنة ٥٧٥ هـ ، ر : (ف ـ أ) .
(٣) ر : (ف ـ ف) .
(٤) ر : (ف ـ م) .

ولم يقطعوا عنهم عذرا وقيل سموا مرجئة لانهم أرجئوا العمل ، ولم يجعلوه ايمانا مع القول ، وفى مثل هذا من القول ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم « لعنت المرجئة على لسان سبعين نبيا » قيل : وما المرجئة يا رسول الله ؟ قال « الذين يقولون الايمان قول بلا عمل » واتفق جمهور من ذكرنا فى صدر المقالة من الأمة ، على أن الله منجز وعده ووعيده وصدقهما بتمام ذلك وامضائه فى جميع من وعده وتوعيده لا تبديل لكلمات الله ولا تحويل لأمره ، قال عز وجل : « **لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد • ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد** » (سورة ق : ٢٨ ، ٢٩) .

وقال : « **ان الله لا يخلف الميعاد** » (الرعد : ٣١) .

وقال : « **جزيناهم ببغيهم ، وانا لصادقون** » (الأنعام : ١٤٦) .

وذلك أن الله عز وجل وعد قوما وتوعد آخرين ، فجعل وعده الجنة لأوليائه المؤمنين ، وجعل وعيده النار لأعدائه الكافرين ولن يجوز أن يكون وعده أو وعيده مبدلا ولا محولا ، ولا مستثنى فيه ولا مرجوعا عنه اذ لا يجوز أن تكون أخباره جل جلاله متكاذبة ولا متناقضة ، فلو كان وعده أو وعيده مبدلا أو محولا ، أو مستثنى فيه لكانت جميع أخباره جل جلاله ذات تكاذب وتناقض ، وهل الوعد والوعيد الا اخبار منه

عز وجل بأنه أعد للفريقين ما وعدهم به ، وتوعدهم وقال : « **واتقوا النار التى أعدت للكافرين** » (آل عمران : ١٣١) •

وكيف يخبر بأنه أوعد ما لم يوعد أو وعد ما لم يعد أو يكون يعد ويوعد ثم لا يفى بما وعد ، ولا بما أوعد ؟ ولا يوجد شىء من ذلك على ما أخبر به ، وهذا غاية الوصف لله جل جلاله بالكذب ـ تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا ـ وقال الله عز وجل فى ابليس : « **يعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا** » (النساء : ١٢٠) فحاشا لله أن تكون مواعيده كمواعيد الشيطان •

(نقلا عن كتابه : الموجز ، الجزء الثانى من ١٠٤ ـ ١٠٦)

* * *

● **النص الثانى** ـ لأبى حفص عمر بن جميع (٥) مع شرح لأبى سليمان التلاتى •

قال : الوعد هو الاخبار بالخير كما فى قوله تعالى : « **ان الابرار لفى نعيم** » (الانفطار : ١٣) • والوعيد هو الاخبار بالشر كما فى قوله تعالى : « **وان الفجار لفى جحيم** » (الانفطار : ١٤) • والمراد بهما هنا عقائدهما المبينة بقول المصنف رحمه الله ـ ندين ـ أى نتقرب نحن أهل الحق الى ربنا باعترافنا وجزمنا ـ بأن الله ـ أى واجب الوجود لذاته ـ

---

(٥) توفى عمر بن جميع فى القرن الثامن الهجرى أما أبو سليمان التلاتى توفى سنة ٩٦٧ هـ ، ر : (ف ـ أ) •

صادق – أى مطـابق للواقع حكم خبره الوارد – فى وعده – أى اخباره بالخير كما فى قوله تعـالى : « **ان الذين آمنـوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا** » (الكهف : ١٠٧) . – وفى وعيده – أى اخباره بالشر كمـا فى قولـه تعالى : « **ان الذين كفروا من أهـل الكتـاب والمشركين فى نار جهنم** » (البينة : ٦) ونـدين بأن الله تعالى لا يخلف وعده ولا وعيده كما فى قوله تعالى : « **ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد** » (سورة ق : ٢٩) .

فمن وعده بالجنة لابد له منها ومن الخلود فيها كما أشار المصنف اليه بقوله : – وندين أيضا أى نتقرب نحن أهل الحق الى الله تعالى لجزمنا – بتخليد – أى دوام – أهـل – أى أصحاب الجنة أى دار الثواب – فى الجنة أى دار الثواب والنعيم المقيم – و – بتخليد – أهل – أى أصحاب – النار – أى دار العقاب فى النار أى دار العقاب الأليم والنكال العظيم – و – بقوله : – ندين أيضا أى نعبد الله تعالى نحن أهل الحق ونتقرب اليـه بجزمنـا واقـرارنا بالسنتنـا – بأن الجنة – أى دار الثـواب – و – بـأن النار أى دار العقـاب – دائمتـان أى باقيتان ومستمرتان – لا يفنيان أى لا يذهبان ولا يزولان – أبدا – أى فى جميع الأزمنة .

(نقلا عن التوحيد وشرحها ، ص ٧٤ – ٧٥) .

* * *

● **النص الثالث ـ للشيخ السالمى (٦) قال :**

ومن عصى ولــم يتــب يخلــد
فى النــار دائمــا بهــذا نشــهد

هذان بيان مذهب أهــل الاستقامة (٧) أى من عصى بكبيرة ولم يتب منها حتى مات فهو مخلد فى النار دائما . نشهد بذلك لاخبار الله ايانا به كما فى قوله تعالى : « **ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا** » (الجن : ٢٣) واعترض بأن المراد من عصى الله ورسوله فى التوحيد وأجيب بأن اللفظ عام ، ولا مخصص، وقوله تعالى : « **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون** » (البقرة : ٨١) .

واعترض بأننا لا نسلم أن صاحب الكبيرة أحاطت بــه خطيئته من كل جانب لأن له حسنات لا يظلم اياها . ويجــاب بأنه أحبط حسناته باصراره على الكبيرة ، فلم يظلم شــيئا لأنه قد أخبر انما يتقبل الله من المتقين ، ولا شك أن صاحب الكبيرة ليس بمتق ، فلم يتقبل الله شيئا من حسناته مــع اصراره على الكبيرة ولا قبله اذا مات عليه . وقوله تعالى : « **ومن يقتل مؤمنــا متعمدا فجــزاؤه جهنــم خالدا فيهــا** » (النساء : ٩٣) .

---

(٦) ر : (ف ـ أ) .
(٧) أى الاباضية .

واعترض بأن المراد من قتل مؤمنا على ايمانه ولا يقتل مؤمنا على ايمانه الا مشرك (ويجاب) أن سياق هذه الآية ينفى هذا التعليل ، لأنه ذكر أولا : حكم قاتل المؤمن خطأ ، ثم ذكر حكم قاتله عمدا والمحكوم عليه فى كلا الموضوعين واحد وقوله تعالى : « **ان الأبرار لفى نعيم • وان الفجار لفى جحيم • يصلونها يوم الدين • وما هم عنها بغائبين** » (الانفطار : ١٣ ـ ١٦) ، فلو كانوا يخرجون منها لزم أن يغيبوا عنها والفجور شامل للشرك وغيره .

(نقلا عن كتابه : مشارق أنوار العقول ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦) .

* * *

● **عرض وتحليل الأصل السادس (العدل والوعد والوعيد) :**

ان قضية الوعد والوعيد ـ أى الثواب والعقاب ـ تعد أصلا من أصول العقائد الاباضية ، فهى مرتبطة بالعدل الالهى الذى يعطى لكل ذى حق حقه ، ولا ينسب اليه الجور والظلم تعالى الله عن ذلك .

فلا يحكم على أحد بما ليس أهلا له ، ولا لأحد بما ليس أهلا له ، ولا يفعل بأحد ما لم يكن أهلا له ، فحكمه على القاتل بالعقل عدل ، وقطع يد السارق عدل ، ورجم الزانى والزانية عدل ، ووعد الطائع بالجنة عدل ، وتوعد العاصى

بالنار عدل . وهو القائل : « **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم** » (الأنعام : ١١٥) .

ان النصوص المبسطة هنا ، قد أكدت وبينت رأى الاباضية فى ثواب المؤمن ، وعقاب العاصى ان مات بدون توبة .

وهذان الأصلان أوجبهما الله على نفسه ، والا أصبحت أوامر الله تعالى كاذبة ومتناقضة مع النصوص القرآنية وعدالته المطلقة ـ فالله عادل ولا يظلم أحدا وهو القائل : « **ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد** » (آل عمران : ١٨٢) ، والله عز وجل سينفذ وعيده الخالد الأبدى فى حق الكافرين والعصاة وهو القائل عز وجل : « **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هى حسبهم ، ولعنهم الله ، ولهم عذاب مقيم** » (التوبة : ٦٨) ، وكذلك سينفذ وعده الخالد الأبدى فى حق المؤمنين الصادقين وهو القائل عز وجل : « **ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم** » (النساء : ١٣) ، ان النصوص قد دحضت بكل قوة رأى المرجئة والحشوية (٨) بالدليل العقلى والنقلى حين زعمت أن الله سيخلف وعيده لأهل الكبائر والعصاة من المسلمين ولا يخلف وعده ، وعللوا ذلك بقول الله عز وجل : « **قل ياعبادى**

---

(٨) ر : (ف ـ ف) .

الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » (الزمر : ٥٣) .

ولكنهم أجيبوا بالدليل النقلى فى قوله تعالى : « **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين** » (النساء : ١٤) وفى آية كريمة أخرى يقول الله عز وجل : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** » (النساء : ٩٣) ، ان هذه الآية قد نزلت فى حق عصاة المسلمين وقد وعد الله هؤلاء بالخلود الأبدى فى جهنم والا فى حق من أنزلت هذه الآية ؟

وخلاصة القول : ان الاباضية يرون أن أهل الكبائر من المسلمين بدون توبة كانوا عصاة أو فاسقين أو منافقين فهم مخلدون فى النار دائما أبدا . وأما المؤمنون فهم مخلدون فى الجنة الخالدة دائما أبدا . وهذه العقيدة قد اعتنقها المعتزلة والشيعة بعد .

أما الأشعرية فيرون أن الخلود الدائم للكافرين فقط. وأما مرتكب الكبائر ما عدا أهل الشرك فأمره الى الله ان شاء عذبه أو عفى عنه . وأما المرجئة فترى أن الخلود الدائم فى النار خاص بالكافرين . أما المسلم العاصى فقد يعفو الله عنه ، وقد يعاقبه ولكن مصيره النهائى الجنة .

* * *

الأصـــل الســـابع :

الشـــفاعة

● النص الأول ـ ذكر حديث الشـفاعة فى الجامـــع الصحيح •

(١٠٠١) عن جابر بن زيد عن النبى ﷺ قال : « ما منكم من أحد يدخل الجنة الا بعمل صالح وبرحمة الله وشفاعتى » •

(١٠٠٤) عن جابر بن زيـد عن النبى ﷺ قال « ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتى » •

(١٠٠٥) عن جابر بن زيد قال : لما نزلت هذه الآيـــة « وأنذر عشيرتك الأقربين » (الشعراء : ٢١٤) • جعل رسول الله ﷺ يتفخذ أفخـاذ قريش فخذا فخـذا حتى أتى الى بنى عبد المطلب فقال : « يا بنى عبد المطلب ان الله أمرنى أن أنذركم فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا ألا ان أوليائى منكم المتقـــون ألا لأعرفن ما جاء الناس غدا بالدين فجئتم بالدنيا تحملونهـا على رقابكم يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشتريا أنفسكم من الله فانى لا أغنى عنكما من الله شيئا » •

(نقلا عن الجامـع الصحيح ، الجـزء الرابـع ، ص : ٢٢ ـ ٢٤) •

* * *

● النص الثانى ـ للشيخ عبد العزيز الثمينى (١) .

قال : فمن زعم أن الشفاعة تكون لأهل الكبائر ، لزمه القول بأنهم يدخلون الجنة ، وأن الأمة كلها فى الجنة وذلك خلاف ما فى الكتاب والسنة ، من أن من الأمة مخلدين فى النار ، وهم أهل الكبائر الميتون عليها غير التائبين منها ، ولأنها لو كانت لهم ، لم يجز سؤال الكون من أهلها لاستلزامه سؤال الكون من أهل النار الغير الجائز . وما يقال من أن المؤمنين التائبين لا حاجة لهم بالشفاعة لأنهم من أهل الجنة بلا شك مردود بأنهم محتاجون لها فى زيادة تشريفهم ورفع درجاتهم وتكثير ثوابهم وفى تقصيرهم فى حق الجار وذى القربى والأرحام والزوجة والأولاد ونحوها ويدل على احتياجهم لها قوله تعالى حكاية عنهم : « **ربنا أتمم لنا نورنا واغفرلنا** » (التحريم : ٨) حيث أخبر بأنهم يطلبون به اتمامه لهم نورهم وغفرانه لهم ذنوبهم وهم سائرون على قناطر جهنم قبل دخولهم الجنة وقوله ﷺ : « ما من أحد يدخل الجنة الا بعمل صالح وبرحمة من الله وشفاعتى » . ومما يدل على أن الشفاعة لا تكون لأهل الكبائر قوله ﷺ : « يا بنى عبد المطلب ، ان الله أمرنى أن أنذركم ـ أى بقوله « **وأنذر عشيرتك الأقربين** » ـ الا انى لا أغنى من الله شيئا » .

---

(١) ر : (ف ـ أ) .

(نقلا عن كتاب ــ شرح قصيدة النونية ــ ص ٣٠٢ ، للشيخ أبى نصر فتح بن نوح) .

* * *

● **النص الثالث ــ لأبى محمد عبد الله بن حميد السالمى (٢).**

قال : الشفاعة لغة الوسيلة والطلب ، وعرفا سؤال الخير من الغير للغير ، وشرعا طلب تعجيل دخول الجنة ، أو زيادة درجة فيها من الرب عز وجل لعباده المؤمنين فتكون للأنبياء وغيرهم . ويختص نبينا عليه السلام منها بخصلة هى تقدمه اليها قبل كل شافع فلا يفتح بابها الا له ثم من بعده يشفع من شاء الله أن يشفع .

قيل وهو المقام المحمود الذى فى قوله تعالى : « **عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** » (الاسراء : ٧٩) ، أى يحمدك فيه الأولون والآخرون حيث لم يجدوا قبلك شافعا .

ان شفاعة نبينا محمد ﷺ مقصورة على التقى من المكلفين والتقى هو من جانب المحرمات وأدى الواجبات ، فلا شفاعة لغيره من الأشقياء لقوله تعالى : « **ولا يشفعون الا لمن ارتضى** » (الأنبياء : ٢٨) وقوله تعالى : « **واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة** » (البقرة : ٤٨) .

---

(٢) ر : (ف ــ أ) .

وقوله تعالى : « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » (غافر : ١٨) ، وهذه الآيات عامة كما رأيت ففى الأولى تصريح بأن الشفاعة مقصورة على من ارتضاه الله ، وفى الثالثة دليل على نفيها عن الظالم ، وهو اسم لكل من ظلم نفسه ، أو ظلم غيره ، فلا تخص المشركين كما زعموا ، فانها وان كان سبب نزولها فيهم ، فلا عبرة بخصوص السبب مع عموم اللفظ ، ويعضد هذه الآيات ما سيأتى من الأدلة القاطعة فى تخليد أهل الكبائر ، فانهم مع ما ثبت من تخليدهم فى النار بالقطعيات الآتية ، انتفت عنهم الشفاعة فى الموقف ضرورة .

فان من ثبتت له الشفاعة فى دخول الجنة لا يدخل النار فضلا عن أن يخلد فيها . وخالفت الأشاعرة (٣) فيها فأثبتوها لأهل الكبائر تعويلا على حديث رووه « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » ويجاب بوجوه ـ أحدها : أنه خبر واحد لا يعارض القطيعى ـ وثانيها : أنه لو لم يعارض قطعيا لما أوجب العلم ـ وثالثها : أنه عارضته رواية : مثلها ونصها « لا تنال شفاعتى اهل الكبائر من أمتى » فهذه بتلك على أن هذه قد عضدها الكتاب وتلك قد خالفته فوجب اما القول بوضع تلك الرواية كما ذهب اليه المحقق الخليلى رحمه الله قائلا : انه لو كانت الشفاعة لأهل الكبائر لتقرب اليه المتقربون اليه بالكبائر .

(نقلا عن كتابه : مشارق أنوار العقول ـ ص : ٢٨٧ ـ ٢٨٨) .

---

(٣) ر : (ف ـ ف) .

* * *

● **عرض وتحليل الأصل السابع (الشفاعة) :**

لقد ترتب على موقف الاباضية حول العدل والوعد والوعيد موقف ثان ، نفوا فيه حدوث الشفاعة من الرسول ﷺ وحصروا حدوث هذه الشفاعة فى المؤمنين فقط دون العصاة والفسقة ومرتكبى الكبائر .

ان شفاعة النبى ﷺ لن تكون لمن مات وهو مصر على الكبائر . وانما تكون للمؤمنين كافة للتخفيف عليهم يوم الحشر ، والتعجيل بهم للدخول فى الجنة أو زيادة درجة لبعض المؤمنين الذين ماتوا على الوفاء والتوبة النصوح .

أما الأدلة القطعية التى استشهدوا بها فهى كالتالى : قال الله عز وجل : « **واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة** » (البقرة : ٤٨) ، ثم ان الرسول ﷺ قد أكد ووضح هذه الآية الكريمة حين قال : « يا فاطمة بنت محمد ، ويا صفية عمة محمد ، اشتريا أنفسكما من الله فانى لا أغنى عنكما من الله شيئا » .

وهذه العقيدة لها صلة بأصل العدل والوعد والوعيد ، لأن الله عز وجل عادل ولا يخلف وعده ووعيده .

فهذه العقيدة تتطابق مع رأى المعتزلة التى تنفى الشفاعة عن أهل الكبائر . أما الأشعرية فقد أثبتوها لأهل الكبائر

اعتمادا على حديث الرسول : « شفاعتى لأهـــل الكبائر من أمتى » ، غير أن هناك رواية أخرى تفند هذا الحديث « لا تنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى » ، فهذه بتلك كما قال الشيخ السالمى رحمه الله . ثم ان الآيات الكريمة قد أيدت الحديث الأخير وخالفت الحديث الأول .

ولو أن الشفاعة تكون لأهل الكبائر ـ أصحاب المعاصى ـ لتقرب اليه المسلمون بالكبائر ـ أى الى الله ـ ليضمنوا لأنفسهم الجنة الخالدة ، فهذا يتنافى مع عقائد الاسلام والمنطق السليم ، والرسول قد ربط بين الشرك والكبائر ولم يفرق بينهما . حين قال : « اجتنبوا الكبائر السبع الموبقات تنجوا : الشرك بالله ، والقتل ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل أموال الناس ظلما ، والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين » .



الأصــل الثـــامن :

خلق القرآن الكريم

● النص الأول ـ لأبى عمار عبد الكافى الاباضى (١) النقض لمن زعم أن القرآن غير مخلوق) .

يقال لمن زعـم أن القرآن غير مـخلوق : أخبرونـا عن القرآن وجميع الكتب المنزلة من الله الى خلقه على السـنة رسله ، أهى أشياء أم ليست باشياء ؟ فان قالوا : بأنها غير أشياء أبطلوها ، وجعلوها فى حـد العدم والتلاشى فيقـــال لهم : فما الذى زعمتم أنه ليس بمخلوق ؟ اذ ليس ثم شىء يكون غير مخلوق ، أو خلقا ، وبطل على هذا المعنى أن تكون رسل الله جاءت من عند الله بشىء ، وأن الله أنزل على أنبيائه شيئا وقد قال عز وجل : « ومـا قـدروا الله حـق قـدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء » (الأنعام : ٩١) ، فقال ردا عليهم : « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى » (الأنعام : ٩١) ، فلما تبين أن كتاب الله شىء من الأشياء قلنا : لا يخلو هذا الشىء من وجهين لا ثالث لهما : اما أن يكون محدثـــا أو غير محدث ، فان قالوا : غير محدث أبطلوا وردوا على الله حيث قال : « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا

---

(١) ر : (ف ـ أ) .

عنه معرضين » (الشعراء : ٥) فان قالوا : محدث ، قيل من أحدثه ؟ فان أضافوا حدوثه الى غير الله أبطلوا ، وان قالوا ان الله أحدثه أقروا بخلقه ، ويقال هل كان القرآن دالا على الله فى ربوبيته شاهدا عليه فى وحدانيته ؟ فان قالوا لا أبطلوا وان قالوا بل هو دال على الله ، وشاهد عليه كما كان سائر الأشياء من الخلق دالا على الله ، قلنا من جعله دالا على الله ؟ ولا يجدون الا أن يقولوا الله جعله دلالة على ربوبيته ، وشهادة على وحدانيته ، كما جعل سائر الخلق كذلك ، فاذا قالوا ذلك أقروا بخلقه ، ويقال لهم : أخبرونا عن القرآن أليس هو محدثا كائنا بعد أن لم يكن ؟ فان قالوا لا أبطلوا ، وجعلوه قديما مع الله ، وصاروا الى مذهب الاثنين ممن أنبانا عن باطلهم فيما مضى ، فان قالوا محدث كائن بعد اذ لم يكن أقروا بخلقه ، والحدوث هو الخلق ، كما أن الخلق هو الحدوث .

وانما شنعوا عبارة الخلق لغباوتهم ، وجهلهم ، وهم قد أتوا بجميع معانى الخلق ولن يجوز أن يكون محدثا غير مخلوق كما لا يجوز أن يكون مخلوقا غير محدث ولن يجوز أن يكون محدث غير مخلوق ، كما لا يجوز أن يكون قديم غير خالق .

ومع هذا كله انا وجدنا الله عز وجل وصف القرآن بما

وصف به غيره من سائر الخلق ، فقال عز وجل : « **انا جعلناه قرآنا عربيا** » (الزخرف : ٣) .

وقال فى غير القرآن من الخلق : « **وجعلنا الليل والنهار آيتين** » (الاسراء : ١٢) .

وقال : « **وجعلنا السماء سقفا محفوظا** » (الأنبياء : ٣٢) .

وقال فى القرآن : « **انــا أنزلنــاه فى ليلة القــدر** » (القدر : ١) .

وقال : « **انا نحن نزلنا الذكر** » (الحجر : ٩) .

وقال فى غير القرآن من الخلق : « **وأنزلنا الحديد فيه باس شديد** » (الحديد : ٢٥) .

وقال : « **وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج** » (الزمر : ٦) .

وقال فى القرآن : « **وانا له لحافظون** » (الحجر : ٩)

وقال فى القرآن : « **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون** » (الأنبياء : ٢).

وقال : « **أو يحدث لهم ذكرا** » (طه : ١١٣) .

وقول فى القرآن : « **كتاب فصلت آياتــه** » (فصلت : ٣) .

وقال : « **ولقد جئناهــم بكتاب فصـــلناه على علم** » (الأعراف : ٥٢) .

وقال فى غير القرآن من الخلق : « وكل شىء فصلناه تفصيلا » (الاسراء : ١٢) ٠

(نقلا عن كتابه : الموجز ـ الجزء الثانى ، ص ١٣٢ ـ ١٣٥) ٠

* * *

● **النص الثانى ـ لأبى حفص عمر بن جميع مع شرح لأبى سليمان التلاتى ٠**

قال ـ وندين ـ أيضا نحن أهل التوفيق الى الله تعالى بجزمنا واقرارنا ـ بأن الله ـ أى واجب الوجود لذاته ـ خالق ـ أى موجد ـ كلامه ـ أى قرآنه ـ الذى هو اللفظ المنزل على محمد للاعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته وغيره من الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل التى هى الألفاظ الخاصة الدالة على المعانى الخاصة وغيره من كل ما أوحى به الى الأنبياء والرسل من الكتب والأحاديث القدسية ونحوها ـ ووصية ـ أى كلامه الذى هو القرآن ـ ومحدثه ـ أى موجوده بعد أن كان معدوما ـ وجاعله أى صانعه ـ ومنزله ـ أى مهبطه على النبى عليه الصلاة والسلام وكيفية انزال القرآن الى نبينا ﷺ أنه تعالى أمر الملائكة بنسخه من اللوح المحفوظ فنسخته منه فى أوراق وأعطتها لجبريل ونزل بها الى السماء الدنيا ووضعها فى بيت العزة منها ثم نزل به بعد ذلك

على محمد مفرقا بحسب الوقائع والأحوال التى تعتريه فى عشرين سنة وأنزل عليه اللفظ والمعنى معا .

(نقلا عن كتاب : عقيدة التوحيد وشرحها ـ ص : ٧٦)

* * *

● عرض وتحليل الأصل الثامن (خلق القرآن الكريم) :

اذا درسنا الموضوعات التى بحثتها الفلسفة الاسلامية فلابد أن نتذكر مشكلة خلق القرآن الكريم التى تركت مميزات خاصة لكل فرقة سيما المعتزلة والأشاعرة والاباضية وأهل السلف (٢) ـ فالاباضيون من خلال هذين النصين تظهر لنا حججهم وأدلتهم على القول بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى وعلى أنه مخلوق له تعالى ، لفظه وكلماته ، وسوره ومعناه ، الا ما قام الدليل على قدم معناه فقط ، كلفظ الجلالة والرحمن الرحيم لوصفه تعالى له بكونه منزلا من عنده ، وهذه الفكرة مرتبطة بالتصور النقى الخالص لفكرة التنزيه للذات الالهية عن كل مماثلة لما يحتمل تصور وجوده من المحدثات الحسية الواقعية .

لقد دعم أبو عمار عبد الكافى الاباضى نظريته بالأدلة العقلية والنقلية من القرآن الكريم ورد على كل من زعم أن القرآن غير مخلوق أى ـ أن القرآن قديم مع قدم الله عز

---

(٢) ر : (ف ـ ف) .

وجل فى الأزل . ولقد أظهر براعة وأصالة فى الاستدلال القائم على الاستقراء والقياس فى آن واحد وربط بينهما بالعلاقة الاستنتاجية والاستلزامية بين نتيجة الاستقراء التى هى مقدمة للقياس وقال : ان القرآن الكريم شىء من الأشياء الموجودة فهو يكون اما محدثا أى مخلوقا ، أو غير محدث ، والله الخالق لكل شىء فربط علة خلق القرآن بعلة الأشياء الأخرى المخلوقة لأن علة خلق القرآن الكريم مستغرقة فى الحد العام (٣) وهو الخلق واستشهد بالدليل النقلى فى قوله تعالى : « **انا جعلناه قرآنا عربيا** » (الزخرف : ٣) .

وقال فى غير القرآن من الخلق : « **وجعلنا الليل والنهار آيتين** » (الاسراء : ١٢) .

ثم ان الله عز وجل بين أن القرآن الكريم محدث فقال : « **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون** » (الأنبياء : ٢) .

وقال : « **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم** » (الأعراف : ٥٢) .

وقال فى غير القرآن من الخلق : « **وكل شىء فصلناه تفصيلا** » (الاسراء : ١٢) .

ويمكن أن نضيف عنصرا آخر ، وذلك أن القرآن العزيز

---

(٣) ر : (ف ـ م) .

محصور بسورة وآياته وفيه النسخ ـ أى رفـــع حكم شرعى سابق بنص لاحق ـ فلا يجوز أن يقع النسخ فى القديم وهـذا دليل الحدوث ـ اذن ان القرآن الكريم محدث فهذا الاصـــل قد اعتنقته المعتزلة حين رأت أن القرآن الكريم كلام الله وهو حادث ـ أما الأشعرية فهى تعتقد أن القرآن كلام الله قديم ، أما الحروف والحبر والورق حادثة ، أما أهل النص فيرون أن القرآن العزيز قديم بمعناه وحروفه ولفظه وحبره وورقه ٠

والخلاصة : أن الاباضـية تقـر أن القرآن الكريم مخلوق كالأشياء ٠



الأصـــل التاســـع :

لا منزلة بين المنزلتين (١)

● النص الأول ـ لأبى عمار عبد الكافى الاباضى (٢) ٠

قال : اختلف من أثبت الوعيد لأهل الكبائر وأسمائهم ، وفى كبائرهم ما هى ؟

بعد اجماعهم على ثبوت الوعيد لهم ، ونفى التسـمية عنهم بالايمان فقالت الصـفرية : ان كبائرهـــم كفـر شرك ، وأسماءهم كفار مشركون ، محاربون كأهل حـرب النبى ﷺ تسفك دماؤهم ، وتسبى ذراريهم ، وتغنم أموالهم ، وهم مع ذلك قد تورث أموالهم ، وتنكح نساؤهم وتؤكل ذبائحهم ويحج معهم ، ويصلى معهم ، فقسمت الأزارقة واختارت ، فأخـــذوا ما أحبوا ، وتركوا ما كرهوا ٠

وقالت المعتزلة : كبائرهم فسق وضلال ، ليست بكفر ، وأسماؤهم فاسقون ضالون ، ليسوا بكافرين ، ولا مـؤمنين فاثبت هؤلاء منزلة ثالثة ليست بايمان ولا كفر ، وادعـــوا اسما ثالثا ، لا مؤمنا ولا كافرا ٠

وقال الاباضية والزيدية : كبائرهم كفر نفاق ، لا كفـر

---

(١) أى لا منزلة بين الايمان والكفر ٠
(٢) ر : (ف ـ أ) ٠

شرك ، وأسماؤهم كافرون منافقون ، ليسوا بمشركين ، ولا مؤمنين « **مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** » (النساء : ١٤٣) ٠

لا الى المشركين فى الحكم والسيرة ولا الى المؤمنين فى الاسم والثواب كما قل عز وجل : « **ما هم منكم ولا منهم** » (المجادلة : ١٤) ، نفاهم من المشركين أن يكونوا معهم فى التسمية بالشرك وأحكام المشركين ٠

(نقلا عن كتابه : الموجز ، الجزء الثانى ص : ١١٦ - ١١٧) ٠

* * *

● **النص الثانى - للعلامة محمد بن يوسف أطفيش (٣) ٠**

قال : يجب الفرز بين كبائر الشرك وكبائر النفاق ، وأشرك من لم يفرز ، ومن شك فى شركه لا من شك فى الشاك الا أن قامت عليه الحجة ، وهو أن يعلم أن تكذيب الله اشراك والكذب عليه نفاق ، ودخل فى التكذيب القول بخلاف ما قال مواجهة بلا تأويل والقول بخلافه مع الجهل بنزوله ٠ أو أن يعلم أن الكبائر قسمان شرك ونفاق قلت : هو الصحيح نمتاز بـه عن الأزارقة والنجدية والصفرية (٤) ٠ أو أن يعلم أن

---

(٣) ر : (ف - أ) ٠
(٤) ر : (ف - ف) ٠

الشرك مساواة ودخل فيهـا الجحود كما مر وأمـا غيرها من الكبائر فنفاق على أقوال ثلاثة لأصحابنا محررة ٠ وفى وجوب معرفة أن النفاق خلف قولان ، ولا يشرك من لم يفرز ان كـان متأولا كالأزارقة الزاعمين أن المعاصى كلهـا شرك ، ولزمهـم تشريك آدم حاشاه حيث وصف بالمعصية ، والنجدية منهـم القائلين ان الكبائر كلها شرك وما دونها فسق وذلك الحكـم عند الفريق متعد الى غيرهم ، وأما فيما بينهم فمن اعتقـد اعتقادهم لم يحكموا عليه بالشرك لمعصية أو كبيرة بل يقولون بفسقه ٠ وقيل عن الصفرية انهم يحكمون بالشرك لذلك ولو على أنفسهم فيجتهدون فى التقوى حتى تصفر وجوههم لئلا يقعوا فى الشرك ، وكالمعتزلة القائلين فى كبائر النفاق انها فسـق وضلال لا نفاق ولا شرك ٠

(نقلا عن كتابه : الذهب الخالص ـ ص : ٢٥ ـ ٢٦) ٠

* * *

● **النص الثالث ـ لعلى يحيى معمر (٥) ٠**

قال : يحسب كثير ممن لا علم له أن الاباضية يتفقون مع الخوارج فى تكفير العصـاة كفر شرك ، ولا يعرفـون أن الاباضية يطلقون كلمـة الكفـر على عصـاة الموحدين الذين ينتهكون حرمات الله ، ويقصدون بذلك كفر نعمة ٠ أخـذا من

---

(٥) ر : (ف ـ أ) ٠

الآيات الكريمة ، التى أطلقتها فى أمثال هـــذه المواضيع ، واستنادا الى أحاديث الرســـول ﷺ والله يقول : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فــان الله غنى عن العالمين** » (آل عمــران : ٩٧) ، « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** » (المائدة : ٤٤) .

والرسول ﷺ يقول : « من ترك الصلاة كفر » ، « ليس بين العبد والكفر الا تركه الصلاة » . وأعتقد أن ما تقـــدم يكفى لايضاح المقصود من اطلاق كلمة الكفر على العصــــاة ويقصد بذلك كفر النعمة ، والسبب الذى دعا الاباضية الى اطلاقهم هذه الكلمة على العصاة بــدلا من كلمة النفـــاق أو الفسوق أمران : أولهما : أنها الكلمة التى أطلقها الكتـــاب الكريم والسنة القويمة عليهم فى كثير من المواضيع والمناسبات .

وثانيهما : أن لكلمة النفاق أثرا خاصا فى تاريخ الاسلام ، فقد اشتهر بها عدد من الناس فى زمن رســـول الله ﷺ ، آمنوا ظاهرا ولكن قلوبهم لم تطمئن بالايمان ، فكان القرآن الكريم ينزل بتقريعهــم ويفضح بعضــهم ويتوعدهــم بالعذاب الأليم ، فى الدنيا والآخرة .

« **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، ان المنافقين هم الفاسقون** » (التوبة : ٦٧) .

وخلاصة البحث أن الاباضية عندما يطلقون كلمةالكفر على أحد من أهـــل التوحيد فهم يقصـــدون كفر النعمة ، ويطلق عليه المعتزلة الفسوق ويطلق عليـه غيرهـم النفاق أو العصيان وهو معنى واحد . والنقاش فى هذا الموضـوع نقاش لغـوى والاختلاف لفظى .

(نقلا عن كتابه : الاباضية فى موكب التاريخ ـ الحلقة الاولى ، ص ٨٩ ـ ٩٢) .

* * *

● **عرض وتحليل الأصل التاسع (لا منزلة بين المنزلتين) :**

ان النصوص الكلامية التى قرأناها ، تعالج قضـية الكفر والايمان (٦) التى أثيرت فى الفكر الاسلامى قديما وحديثا . هل المسلم اذا ارتكب كبيرة من الكبائر يفقد صفة الايمـان ؟ وقبل أن نجيب عن هذا السؤال فلابد أن نوضح آراء المدارس الكلامية فى ذلك .

قالت المعتزلة : من أقر بوحدانية الله وبرسـالة محمد ، ولكنه ضيع الفرائض الدينية أو ارتكب الكبائر ، أو جمـع بينهما فهو فاسق عاص ، ليس بمؤمن ولا مشرك ولا كافر . وهذا الأصل يسمى عندهم : المنزلة بين المنزلتين .

---

(٦) راجع فهرس الفرق الكلامية والمصطلحات الكلامية .

أما الأشعرية فقالت : من أثبت وحدانية الله ورســـالة الرسول ﷺ ولكنه ضيع الفرائض الدينيـــة أو ارتكب الكبائر . يعد مسلما عاصيا ، ليس بمشرك ولا كافر ولا فاسق ان شاء الرحمن أدخله النار ، وان شاء رحمه .

وأما المرجئة فقــالت : ان الفرائض الدينية شىء ، وان الايمان شىء آخر . فالايمان هو التصديق بالقلب ، واقـــرار باللسان بوحدانية الله ، ورسالة محمد ففى هذه الحالة ، فهو مؤمن مسلم ليس بمشرك ولا كافر ولا فاسق .

أما الشيعة والزيدية فقالتا : من أقر بوحداينة الله ورسالة محمد ، وضيع الفرائض الدينية ، هـــو كافر كفر نعمة ، منافق فاسق ليس بمؤمن ولا بمسلم ولا بمشرك .

أما فرق الخوارج : الصــفرية ، والأزارقــة والنجدية ـ فقالت : من أثبت وحدانية الله ، ورسالة الرسول ولكنه ضيع العمل بالفرائض فهو مشرك ، كافر فاسق عاص .

أما الاباضية فلها رأى خاص فى هذه القضية . فقد بينت النصوص ، أن من أقر بوحدانية الله ورسالة الرسول ﷺ ، ولكنه ضيع الفرائض الدينية ، أو ارتكب كبائر فتسميه موحدا ، وليس بمؤمن ولا بمشرك ، ثــم يـــرون أن مرتكب الكبيرة يعد كافر كفر نعمة وليس كافر كفر شرك . اعتمادا على قول

الله عز وجل : « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هـــم الكافرون** » (المائدة : ٤٤) .

وقوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين** » الآيـــة ، (آال عمران : ٩٧) والرسول ﷺ يقول : « ليس بين العبد والكفر الا تركه الصلاة » ـ فالكفر اذن عند الاباضية ينقسم الى ما يلى :

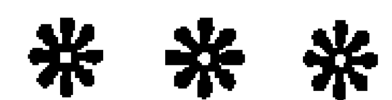
(أ) كفر نعمة ونفاق فيتمثل فى المسلم الذى ضـــيع الفرائض الدينية أو ارتكب الكبائر وأجمع بينهما .

(ب) كفر شرك وجحود : ويتمثل فى الانسان الذى يجحد بالله وآياته ورسالة محمد ﷺ ففى هذه الحالة يعد خارجا من ملة الاسلام .

فرأى الاباضية واضح جدا فى شأن عصاة المسلمين ، فهى تعدهم فى الملة الاسلامية ، وتجرى عليهم أحكام المسلمين . ويحرم أن تستحل دماؤهـم وأموالهم لقــول رســول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل النــاس حتى يقولوا لا اله الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك منعوا منى دماءهـــم وأموالهم الا بحقها » . فهم لا يختلفون عن اخوانهم الابــاضية فى العقيدة الاســـلامية وجوانبهـا الاجتماعية ، فلذا تنكح نساؤهم ، وتؤكل ذبائحهـم ، ويحج معهـم ويصلى معهم ، وعلى أمواتهم ... الخ .

فهذه العقيدة جعلت حدا فاصلا بين الاباضية ، وفـــرق الـخوارج حين حكمت على عصاة المسلمين بالشرك ، اعتمادا على هذه الآية الكريمة : « **وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان أطعتموهـم انكـم لمشركون** » ... الآيـــة (الأنعام : ١٢١) .

فالخلاف بين الاباضية والمدارس الكلامية الأخرى حـول تسمية عصاة المسلمين وأهل الكبائر منهم يكاد أن ينحصر فى الجانب اللغوى فقط أما دلالة المعنى فواحدة عند الفـــرق الاسلامية ما عدا المرجئة .



الفصل الخامس

الاصـول الاجتماعية

الاصـل الاجتماعى الأول :

الولايـة والبـراءة

● **النص الأول ـ لأبى طـاهر اسـماعيل بن موسى الجيطالى (١) ٠**

قال : اعلم أن الولاية معنيان لغوى وشرعى ـ فالولايـة فى اللغة ـ القرب مأخوذ من ولاية أمر اليتيم وهو القيام بأمره والاهتمام بمصالحه وهـو معنى ولايـة الله لأوليائه ، وذلك معنى قوله تعالى : « **الله ولى الذين آمنوا** » (البقرة : ٢٥٧) أى ناصرهم ومتولى أمورهم وحافظهم ٠ الولاية فى الشريعة ايجاب الترحم والاستغفار للمسلمين ، والدليل على وجـوب الولاية نص من القرآن ومن السنة واجماع من أهل الايمان : أما القرآن فقـول الله تعـالى : « **واسـتغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** » (محمد : ١٩) ٠

---

(١) ر : (ف ـ أ) ٠

ومعنى الاستغفار طلب الغفران بصـــحة الارادة . وأمـا السنة فقول النبى عليه السلام لابن مسعود : « يا ابن مســـعود أى عرى الاسلام أوثق » ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « الولاية فى الله والبغض فى الله » . وكذلك عند أصحابنا رحمهم الله الولاية فى الله والبغض فى الله هى حقيقة الايمان فمن لم يدن بها فلا دين له ، ولا ولاية له عندهم .

(وأما الاجماع) : فليس بين الأمة الاسلامية اختلاف فى ولاية الجملة ، وانما الاختلاف بينهم فى ولاية الأشخاص فان ولاية المسلمين بعضهم بعضا كونهم معهم على شريعتهم ، وقد قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر » (المائدة : ٢) .

وقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضـهم أولياء بعض » (التوبة : ٧١) ، فالولاية والبراءة تجبان معـا على المكلف فى حال البلوغ فهما سواء لا عذر لمن جهلهـا ، فكمـا تجب الولاية لأولياء الله كذلك تجب البراءة من أعداء الله بأى معصية كانت مع الاصرار عليها .

(نقلا عن كتابه : قواعـــد الاسلام ـ الجـزء الأول ، ص ٤٥ ـ ٤٦) .

قال الامام أبى طـاهر اسماعيـل بن موسى الجيطـالى فى البراءة ما يلى :

أما القرآن فقول الله تعالى : « **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين** » (آل عمران : ٢٨) .

فنهى الله تعالى عن ولاية الكفار فأنفذ فيها الوعيد فقال : « **لا تتولوا قوما غضب الله عليهم** » (الممتحنة : ١٣) .

وقال : « **ومن يتولهم منكم فانه منهم** » (المائدة : ٥١) فمن يتول مشركا كان مشركا ومن تولى منافقا كان منافقا صاحب كبيرة .

وقال الخليل عليه السلام : « **انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا** » (الممتحنة : ٤) .

وأما السنة فأكثر من أن تحصى كقوله عليه السلام : « لعن الله من أحدث فى الاسلام حدثا أو آوى محدثا » ، وقوله : « انى بـرىء ممن تطير أو تكهن أو تكهن له » . فى أمثالها من الفاظ البراءة فبراءة الجملة واجبة بنص القرآن واجماع من أهل الايمان ، لا عذر لمن جهلها . فكما تجب الولاية لأهل طاعة الله فكذلك البراءة واجبة من أهل معصية الله بأى معصية كانت مع الاصرار عليها . ولا تختلف الأمة فى هذا وانما الخلاف فى براءة الأشخاص من أهل القبلة كما قدمنا فى الولاية وبالله التوفيق .

(نقلا عن كتابه : قواعد الاسلام ، الجزء الثانى ، ص ٦٧ ــ ٦٨) .

* * *

● النص الثانى ـ لأبى حفص عمر بن جميع :

أما الولاية فى ذاتها فالود بالجنان والثناء باللسان ، فان قيل لك : بم تجب ؟ فقل : بالعمل الصالح ، ولمن تجب ؟ فقل لذى الهيئة الحسنة ، ولا تجب الا لمن علم منه خير وهو المستحق لها . فان قيل لك : من يثاب عليها ؟ فقل : المتولى لمن ذكر ، وقيل : يثابان معا . ومن تولى من لا تجب له الولاية فقد كفر . ومن أخرها بعد وجوبها فقد كفر ، وضد الولاية البراءة ، وضد البراءة الولاية ، فاذا وجبت الولاية لم تسقط الا بالبراءة .

فاذا وجبت البراءة لم تسقط الا بالولاية . وتجب علينا ولاية أنفسنا وذلك بالتوبة والانقلاع من الذنوب ، والمسلمون انما تجب ولايتهم بالوفاء فى الدين ، وولاية الله عز وجل لعباده : معرفته بهم ومعرفة مآلهم ومنازلهم فى الجنة ، وولاية العباد لله تعالى : فالقبول لما أمرهم به . وولاية الأشخاص تجب بأربعة أوجه : أن تقبل الأذنان ما سمعتا والعينان ما أبصرتا ويوافقهما القلب فى ذلك وعلى الشريعة ، ومن لم يوال بعد هذه الوجوه كلها فقد كفر كفر نفاق ، وولاية البيضة ، فالسلطان العادل فالواجب علينا ولايته وولاية كاتبه ووزيره وخازنه وجميع من كان تحت لوائه من المسلمين .

والبراءة على أربعة أوجه ، وقيل : ستة : براءة الكفار

جملة من عرفناء ومن لم نعرفه ، الحى منهم والميت ، الانس والجن • وبراءة أهل الوعيد ، وهم الذين ذكرهم الله فى كتابه فأوجب لهم النار • فالواجب علينا أن نبرأ منهم ونعلم أنهم من أهل النار •

وبراءة الأشخاص كل من رأينا منه شرا تجب علينا براءته والقصد اليه بها وبراءة السلطان الجائر وبراءة كاتبه ووزيره وخازنه ، وأما من كان تحت لوائه فلا ، لأنه ربما كان فيها مسلم فلزمته تقية على نفسه ، وبراءة كل من رجع من الاسلام الى الشرك •

(نقلا عن كتاب : مقدمة التوحيد ـ ص : ٩١ ـ ١٠٢)

* * *

● النص الثالث ـ لعلى يحيى معمر :

لقد رأى الاباضية ، أن محبة المؤمن الموفى بدينه الحريص على واجباته ، المبتعد عن المحارم ، المتخلق بأخلاق الاسلام ، المتبع لهدى محمد عليه السلام ، المقتفى لآثار السلف الصالحين رأى الاباضية أن المؤمن اذا كان على هذه الطريق ، وجبت محبته على المؤمنين ، وأعلنت ولايته بين المسلمين ، وطلبت له المغفرة والرحمة من رب العالمين •

هذه القضية يكاد ينفرد بها الاباضية عن غيرهم من الفرق الاسلامية ، فلم يساووا بين مؤمن تقى وعـــاص شقى فى المعاملة ، وقالوا يجب على المجتمع أن يعلن كلمة الحق فى كل فرد من أفراده ، وأن يتولى تهذيب الناشزين وتقويم المنحرفين وتربية المخطئين ، بالوسائل التى شرعهـــا الاســلام للتربية الاجتماعية من أمر بمعروف ونهى عن منكر ، واعراض عمن يتولى عن الله ٠

وليس من الحق أبـــدا أن نتغــاضى عن أولئك الذين يرتكبون المعاصى ونضعهم فى صف واحد مع المؤمنين الموفين ، بل يجب أن نزجر العاصى عن معصيته ما دام منحرفا عـــن سبيل الله ، وأن لا نساوى فى المعاملة بينه وبين الموفى ، وأن لا نعطيه من المحبــة وطلب المغفرة وحسن التعـــامل ما نعطيه للذى يراقب الله فى الخفاء والعلانية ويرجع اليه فى كل كبيرة وصغيرة ويقف عند حدوده التى رسمها لايتخطاها **« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله »** (المجادلة : ٢٢) ٠

والاباضية لا يخرجون العصاة من الملة ولا يحكمون عليهم بالشرك ، ولكن يوجبون البراءة منهم وبغضهم واعلان ذلك لهم حتى يقلعوا عن معصيتهم ويتوبوا الى ربهم ٠

(نقلا عن كتابه : الاباضية فى موكب التاريخ ـ ص : ٨٤ ـ ٨٧) ٠

* * *

● عرض وتحليل الأصل الاجتماعى الأول (الولاية والبراءة) :

ان النصوص التى كتبها الأعلام هنا ، قد عالجت فكـرة اجتماعية حساسة ، لها ارتباط وثيق جـدا باصـلاح الفـرد والمجتمع • ان اصلاح النفس وفسادها مرتبط الى حد كبير بالمجتمع الذى يعيش فيه الانسان • وقد قيل : ان الانســان مدنى بالطبع • وقد أثبتت الدراسات العلمية والملاحظـــات الاجتماعية أن الفرد يكتسب ماهيته (٢) الانسانية من البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها • اذن فالفرد لا يمكنه بـأى حال من الأحوال أن يستغنى عن أبناء جنسه ، والا سيفقد خصائصه الذاتية ، وخدمات اجتماعية من خلال هذا المنطلق فان أغلب مفكرى الاسلام ، يرون أن اصلاح المجتمع الاسلامى ، لا يكون الا عن طريق اصلاح الفرد ، وبما أن الفرد يتأثر ويؤثر فى الظواهر الاجتماعية ، وتفاعلها سواء أكانت روحية أو مادية ، والانســـان باعتبـــاره كائنـــا أخـــلاقيا واجتماعيـــا ، له حاجات (٣) تتعدى الجانب المادى ، ومن بين هذه الحاجات ــ حاجته الى التدين ، والدين الاسلامى كنظام عام واجتماعى يقوم باشباع حاجاته النفسية والروحية • فهو يقوم كذلك بخدمة وظائف مهمة وأساسية فى ضبط الفرد والمجتمع على السواء ،

---

(٢) ر : (ف ــ م) •
(٣) ر : (ف ــ م) •

حتى لا ينحرف عن القيم الأخلاقية والأهداف النبيلة التى وجد منها الانسان .

وقد أكد علماء الاجتماع أن الدين أقوى أنواع الرقابات التهذيبية فى المجتمع وهذه الرقابة التهذيبية تتمثل فى الولاية والبراءة عند الاباضية .

ولقد عرفت الولاية : بالود بالجنان والثناء باللسان أى الحب والاخلاص والاخوة الصادقة التى يظهرها ويكنها المسلم لأخيه المسلم فى الله لا غير .

لقد قال رسول الله ﷺ : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان » . وحكمها الوجوب على المسلمين .

وقد ثبتت الولاية بأدلة قطعية ، لقول الله عز وجل : « **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** » (محمد : ١٩) .

وأما السنة فقول الرسول لابن مسعود : « الولاية فى الله والبغض فى الله » .

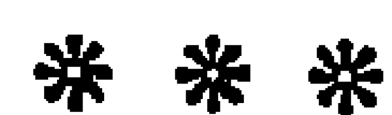
أما البراءة : هجرة من جاهر بالبغى والعدوان ومن ارتكب الكبائر جهرا حتى يتوب . فهى تنطبق على الكافر والانسان العاصى الذى خرج عن جادة الاسلام ، وضيع أركان الاسلام ، أو قام بارتكاب الكبائر أو الحاق الضرر بمصلحة المجتمع الاسلامى .

فاذا تاب ، واستغفر ، واعترف بذنبه تعاد له كل حقوقه ، ويعامل كبقية اخوانه . والدليل على وجوبها قوله تعـــالى : **« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكـم أوليـــاء »** (الممتحنة : ١) ، **« يا أيها الذين آمنـوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء »** (المائدة : ٥١) .

ان هذا الأصل يعد من أصول العقائد الاجتماعية الاباضية فى معالجة سلوك المنحرفين ، حتى لا يشـهروا الفواحش ، ولا يقلدهم آخرون ، فلا شك ان وجدوا الجفاء من أبنـــاء مجتمعهم الاسلامى ، وحسوا أن مصالحهم قد تعطلت كلية ففى هذه الحالة سيقومون باصلاح أنفسهم عن طريق التربية الذاتية الهادفة الى تغيير أنماط سلوكهم والسعى الى اكتساب الفضيلة الأخلاقية والابتعاد عن الرذيلة .

ان الاباضية ينفردون بهذا الركن الاجتماعى القائم على الشريعة الاسلامية . المدعمة بالأدلة النقلية كما رأينا ســـابقا .

غير أن المذاهب الأخرى لا تقول بولاية الأشخاص وبراءتهم ويحصرونها بولاية الجملة وبراءة الجملة ـ حكمها بمن لا يدين بدين الاسلام ولا تنطبق على عصاة المسلمين .



الأصـل الاجتماعى الثـانى :

مسالك الـدين

● النص الأول ـ قال العلامة أبو حفص عمر بن جميع ما يلى : مسالك الدين أربعة : الظهور ، والدفاع ، والشراء ، والكتمـان . فالظهـور كأبى بكر وعمر ، والدفـاع كعبـد الله ابن وهب الراسبى ، والشراء كأبى بلال مرداس بن حدير (١) والكتمان كأبى مسـلم بن أبى كريمة وأبى الشعثاء جـابر ابن زيد (٢) رضى الله عنهم .

(نقلا عن : مقدمة التوحيد ـ ص ٦٩ ـ ٧٢)

* * *

● النص الثانى ـ لعلى يحيى معمر :

ان المجتمع الاسلامى اما أن يكون ظاهرا على أعدائه ، حرا فى أراضيه ـ مستقلا بأحكامه ، عاملا بكتاب الله وسنة رسوله منفذا لأحكام الدين ، لا يخضع لأجنبى بوجه من الوجـوه ، ولا يستبد به حاكم ، ولا يطغى ذو سلطان .

فهذه الحالة هى حالة الظهور ، وهى أكمل الحـالات للمجتمع المسلم ، وعليها يجب أن تكون الأمة ، لأنها المنزنة

---

(١) و (٢) ر : (ف ـ أ) .

التى ارتضاها الله للمؤمنين « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (المنافقون : ٨) ـ اذا انحدر المسلمون عن هـــذا المقـام ، وتضاءلوا عن هذا الشرف ، وجب حينئذ أن يقف المسلمون فى طريق الدولة الباغية ، يأمرونها بالمعروف ، وينهونها عن المنكر ، ويلزمونها أن تسلك بهم طريق الصواب ، فاذا اعتزت بالاثم ، واستمرأت طعم الظلم ، واستكبرت أن تخضع لأمر الله ، وأن ترجع الى سبيل الله فحينئذ يأتى القسم الثـانى من التنظيم الاسلامى وهو الدفاع ، والدفاع فى مسالك الدين يرادف ما يعبر عنه فى العصر الحاضر بالثـورة . الثورة على الاسـتعمار الأجنبى ، أو الثورة عـلى الاستعمار الداخلى : كالثورة على الظلم ، والثورة على الاقطاع ، والثورة على الفساد ، والثورة على الانحراف عن دين الله فى كل مظاهره وأشكاله .

والزعيم الذى يقود هذه الثورة يسمى امام الدفاع . فاذا ضعف المسلمون حتى عن هذا الموقف ، وأصبحوا لا يستجيبون لداعى الثورة ، ويفضلون طريقة السلام ، ويركنون الى الدعة والاستراحة ، جاء المسلك الثالث من مسالك دالين ، وهـــو الشراء . فحق نقلة منهم اذا بلغوا أربعين شخصا أن يعلنوا الثورة على الفساد . فقد اشترط لهذا التنظيم ، شروط قاسية لا يقبلها الا الفدائيون ، الذين وهبوا حياتهم لحياة الأمـــة الاسلامية ، وذلك أنه لا يحل لهم بعد أن ينخرطوا فى هـــذه المؤسسة أن يعودوا الى بلادهم ، أو يستقروا فى أمكنتهم ،

أو يتخلوا عن رسالتهم ، حتى ينتهى بهم الأمر الى النجاح أو انقتل .

وهم فى كل ذلك لا يحل لهم أن يروعوا الآمنين ، أو أن يسيئوا الى المسالمين . انه تنظيم رائع للفدائية فى الاسلام عندما يتحكم الظلم ، ويستعلى عبيد الشيطان ، وتعطل أحكام الله بأحكام الانسان .

فاذا رضيت الأمة بالذل ، واستسلمت للظلم ، وجـــرى عليها حكم الطغاة ، ولم يقم فيها من يثور لكرامة الاســـلام المهدورة ، ولا لشرف الرسالة التى أعزت الانسانية . وتغلب حب الدعة على كل فرد ، وركن الجميع الى الراحة .

اذا ضعفت الأمة حتى عن هذه المرتبة أصبحت تحت التنظيم الأخير ، تنظيم الكتمان . وعندئذ يجب أن يبتعد المؤمنون عن مساعدة الظالمين بتولى وظائف الظالمة ، وأن تتولى شئونهم جمعيات تنشر فيهم المعرفة والثقافة الاسلامية التى تبصرهـم بدين الله .

(نقلا عن كتابه : الاباضية فى موكب التاريخ ـ ص : ٩٣ ـ ٩٦) .

* * *

● **عرض وتحليل الأصل الثانى الاجتماعى (مسالك الدين) :**

ان هذا الأصل يعد من أصول الفكر السياسى عند الاباضية

وهو يحمل مدلولا ثوريا لازالة الظلم والحيف السياسى عن المجتمع الاسلامى وجث جذوره . والفرق الكلامية فى الاسلام قد اجمعت كلها على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واستدلوا بقول الله عز وجل فى قوله : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** » (آل عمران : ١٠٤) .

ولكن المدارس الاسلامية ، قد اختلفت فى كيفية تنفيذ هذا الأصل ، ان المعتزلة والزيدية والاباضية يرون أن ازالة الظلم واجب على كل أفراد الأمة الاسلامية ـ ولو عن طريق الثورة ـ وبالمقابل نجد أهل الحديث ، قد أنكروا الخروج على الحاكم الجائر الفاسد . ان هذا الأصل الذى ذكر ، له ارتباط وثيق بتحمل واجب الجهاد عند المسلمين ، وقد أكدت الأدلة القطعية على الزامه على كافة أفراد الأمة الاسلامية لقول الله : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون** » (المائدة : ٣٥) .

والرسول يقول فى أجر الشهيد : « **الشهيد يغفر له عند أول قطرة تقطر من دمه فى سبيل الله ويجار من عذاب القبر** » رواه ابن عباس ـ (الجامع الصحيح الجزء الثانى ، ص ١٦) .

وقال رسول الله ﷺ : « **أفضل الأعمال كلمة حق يقتل عليها صاحبها عند سلطان جائر** » رواه أبو عبيدة عن جابر ابن زيد . (الجامع الصحيح الجزء الثانى ، ص ٧١) .

والاباضية يحصرون هذا الركن ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ فى مسالك الدين فهى كما يلى :

(أ) الظهور : هو بروز الدولة بالمعنى السياسى المعبر عن السلطة الحاكمة والسيادة العامة والتنفيذ ، كظهور الدولة الاسلامية الأولى فى عهد الرسول الى آخر خلافة على بن أبى طالب وهـذه الدولة لها جميع مقوماتها الأساسية تأمر بالمعـروف جهرا وتنهى عن المنكر جهرا وتطبق حدود الله ، وتعلن الحرب على المرتدين والكافرين وتحكم بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله والظهور هو الأصل المأمور به الذى يجب أن يكون عليـه المسلمون ٠

(ب) الدفاع : هو اجماع المسلمين على امام يعينونه عند محاربتهم العدو الذى دهمهم ، واحتل ديارهم ، أو حاكم عبث بمصير الأمة الاسلامية وانحرف عن تطبيق كتاب الله عز وجل وهذا الامام الذى عين من طرف الأمة الثائرة تجب عليهم طاعته ، ويلتزم بالأحكام التى تقع حال كونه امام المسلمين ٠ واذا زال القتال زالت امامته ، وله الحق أن يرشح نفسه لامامة المسلمين من جديد ، فى الدولة الفتية المنتصرة على حسـب شروط الامامة فهى الكفاءة والأهلية ٠

(جـ) الشراة : أن يبيع أربعون مسلما فما فوق أنفسهم لله عز وجل ، ويعلنون الجهاد أمام السلطة الجائرة واستشهدوا

يقول الله عز وجل : « **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله** » (البقرة : ٢٠٧) ، ثم قال الله فى آية أخرى : « **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** » (التوبة : ١١١) ، وسموا شراة لأنهم اشتروا الجنة بأنفسهم ولا يجوز لهم الرجوع الى ديارهم حتى ينقصوا عن ثلاثة رجال ، وهم فى جهاد دائم ، حتى أن الصلاة تقصر فى ديارهم ، اذا دعت الضرورة بالاجتماع فيها مع أنصارهم الذين يعملون داخل المدن وخارجها ، لضرب مضاجع ومعاقل السلطة الجائرة وزعزعة هيبتها . حتى تشعر الأمة الاسلامية أن هناك قوة روحية الهيبة أقوى وأشد من القوة المادية الحاكمة التى وصلت الى الحكم عن طريق الوسائل اللاأخلاقية . لأجل حب الرئاسة ومفاتنها .

(د) الكتمان : يعد أدنى درجة فى الجهاد ويتمثل فى عدم مساعدة الظالمين والابتعاد عن وظائفهم وارشاد الناس الى الخير العام وتهذيب نفوسهم عن طريق المساجد وجمعيات خيرية دينية تسعى الى غرس فضائل الاسلام وقيمه الخلقية وتربية النشء تربية دينية اسلامية سليمة ونشر الوعى الدينى بين طبقات الشعب .

***

الأصـل الاجتماعى الثالث :

الامـــامة

● النص الأول ـ لأبى عمار عبد الكافى الاباضى ·

قال : ان الله عز وجل بتفضيله ، وحسن نظره لعباده . وارادته أن يستحق المطيعون منهم ثوابه ، والعاصون يؤخذون بذنوبهم وجريمتهم ، فأمر باقامة الحدود ، والقيام بالقسـط والأخذ فوق يد الغشوم ، فانزل بذلك الكتب وبعث به الرسل ، وضرب فيه الأمثال وأحل الحلال ، وحرم الحرام ، وعـرف الحدود والأحكام ومدح الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذم الآمرين بالمنكر والناهين عن المعروف ، فى غير آية من كتابه المفصل ، على لسان نبيه المرسل ﷺ ·

قال عز وجل : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنـا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** » (الحديد : ٢٥)

وقال : « **ولكم فى القصـاص حيـاة يا أولى الألباب** » (البقرة : ١٧٩) ·

وقال : « **ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل ، انـه كان منصـورا** » (الاسراء : ٣٣) ·

وأما الذى قالت بـه النجدات (١) من الخوارج بـأن النـاس لا يحتاجون الى امام وانما عليهم أن يقيموا كتاب الله فيما بينهم فليس ذلك من قولهم بشىء ولو جامعهم عليه ناس من الاباضية لما كان الذى ذهبوا اليه من ذلك داعيا الى السائبة فى دين الله ، والتعطيل لحـدود الله ، وتضييـع الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد فرض الله عز وجل أن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن تقام حدود الله على ما بينها فى كتابه وفصله كما قدمنا ذكر ذلك .

وأجمعت الأمة أن هذه الحدود مع وجوبها لا تقام ولا توجد الا بالأئمة وولاتهم وفى ابطال الامامة وازالة فرضها ابطـال اقامة الحدود ، والأحكام ، وازالة فرضها على المسلمين والقول باضاعتها فبأى حجة أزيلت الحدود عمن استحقها من السراق والزناة والقذفة بعد ايجاب الله عليهم ؟

فلما كان من اجماعهم ما وصفنا ، ثبت أن عقد الامامة على المسلمين فرض واجب وحق لازم ولما كانت الفروض التى ذكرناها منوطة بالامامة ألا تقام الا معهـا ، فكل مـا كان من الفرض لا يتم الا به فهو فرض مثله والأمة لا تجتمع على شىء ثم تختلف فيه .

وبعد ، فكيف يتكلف المسلمون بعد نبى الله عليه السلام من

---

(١) ر : (ف ـ ف) .

أمر الامامة ما قد تكلفوا وهى عندهم ليست من الواجب وفى الذى ذكرنا من خلافة أبى بكر على لسان رسول الله ﷺ وسمى بذلك خليفة رسول الله وما جدد له المسلمون منه فساد ما ذهب اليه من زعم أن الامامة ليست بواجبة مع ما كان من استخلاف أبى بكر لعمر رضى الله عنهما ٠

(نقلا عن كتابه : الموجز ـ الجزء الثانى ، ص : ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، ٢٣٣ ـ ٢٣٤) ٠

* * *

● النص الثانى ـ جاء فى الجامع الصحيح (الجزء الأول ـ صفحة ٤٤ فى باب الامامة) ما يلى :

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مروا أبا بكر يصلى بالناس » قالت : فقلت : يا رسول الله ، ان أبا بكر اذا قام فى مقامك لم يسمع الناس من البكاء فأمر عمر فليصل بالناس ، قالت : فقال : « مروا أبا بكر ليصلى بالناس » قالت عائشة فقلت لحفصة : قولى لرسول الله ﷺ مثل ما قلت له ففعلت حفصة فقال رسول الله ﷺ : « انكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر ليصلى بالناس » ٠

ثم جاء فى الجزء الثالث صفحة ٧ ، ١٣ من الجامع الصحيح مما يلى :

قال ﷺ : « تخيروا لامامتكم وتخيروا لنطفكم » ، وقال رسول الله ﷺ : « ان أمر عليكم عبد حبشي مجدوع الأنف فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله » .

* * *

● النص الثالث – لعلي يحيى معمر :

قال : ولعل قضية الخلافة هي أهم قضية يلتقي فيها الاباضية والخوارج على رأي واحد ، وفيما عدا ذلك فالاباضية أبعد الناس عن الخوارج في فهمهم للاسلام وعملهم بأحكامه .

على أنني أعتقد أن الأمة الاسلامية ، بعد التجارب الطويلة المريرة ، وبعد أن ابتعد بها التاريخ عن المؤثرات الخاصة ، التي سيرتها في اتجاه معين لا يسعها الا أن ترى رأي الاباضية في قضية الخلافة ، وأن علماء الاسلام لا يمكن أن يرجحوا غير هذا الرأي ، واذا قدر للأمة الاسلامية أن تجتمع ، وأن ترجع الى حكم الله وأن تلغي هذه الشرائع التي جاء بها الاستعمار لابعاد هذه الأمة الاسلامية عن كتاب الله وقدر للخلافة الاسلامية أن تتولى شئون المسلمين كما أمر الله وقدر ذلك ، وكان للأمة أن تختار رئيس الدولة الذي تلقي بين يديه بمقدورات الأمة ، ما وسعها الا أن ترجع الى قواعد هذا المذهب ، لتختار الخليفة أو رئيس الدولة ، حسب الشروط السابقة التي أشرنا الى بعضها . ولما أقامت للهاشمية أو القرشية أو العروبة أي وزن ،

اللهم الا فى مقام الترجيح ، عندما تتساوى المواهب والكفاءات ، ولن تتساوى المواهب والكفاءات فى أمة تشتمل على الملايين من مختلف الأفهام والعقول والأخلاق ٠

* * *

● **عرض وتحليل الأصل الاجتماعى الثالث(الامامة) :**

حين انتقل رسول الله الى جوار ربه فى يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول سنة ١١ هـ ٠ وهو فى الثالثة والستين من عمره ٠ ظهرت أول مشكلة خطيرة هددت الاسلام والمسلمين فهى أزمة الحكم ــ أى الامامة ورئاستها بين الأنصار والمهاجرين ــ غير أن عمر بن الخطاب ، حل هــذه العقدة الخطيرة حين قـــال لأبى بكر : ابسط يدك أبايعك ، فبسط أبو بكر يده فبايعه عمر ومن بعده المهــاجرون والأنصــار ٠ غير أن قضــية الخلافة تركت اتجاهات متعددة ومتناقضة بين المسلمين ، ولعل أعظم خلاف بين الأمة الاسلامية الى اليوم لا يزال قائما فهو أزمة الحكم ٠

ويمكن أن نقسم هذه التيارات المتضادة الى ما يلى (٢) :

(أ) الخوارج يرون أن الخلافة لا يجب أن تنحصر فى نسل عائلة ، أو قبيلة معينة أو جنس معين ، والاباضية يتفقون معهم فى هذا القول ٠

---

(٢) ر : (ف ــ ف) ٠

(ب) أن الشيعة يرون أن الخلافة يجب أن تكون فى آل النبى ﷺ وبيته ، وأن عليا وذريته أحق بها . وهذا الحق جاء عن طريق وصية الرسول ، ولا دخل فى ذلك لجمهور المسلمين لاختيار امامهم ، وأن الامام معصوم من الخطأ وهو مصدر التشريع فى أمور الدين والدنيا ، وحول هذه الفكرة التقت فرق الشيعة مع اختلاف فى بعض التفاصيل كالامامية والزيدية والاسماعيلية .

(جـ) المدرسة الأشعرية والمرجئة قديما قد حصرتا الامامة فى قريش ، وجوزتا الحكم الوراثى ، ولقد استفاد بنو أمية من هذه الفكرة ودعموها بالأدلة الجبرية التى تخدم حكمهم واستمراره .

أما بالنسبة للنصوص التى درسناها ، فقد أكدت رأى الاباضية فى الامامة بما يلى :

١ - أن امامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . قد صحت وتحققت باجماع الصحابة ، وهؤلاء لا يتفقون على الضلال .

٢ - أن الرسول قد استخلف فى الصلاة أبا بكر حين كرر عدة مرات « مروا أبا بكر يصلى بالناس » فهذا دليل على صحة خلافته بعد الرسول ﷺ .

٣ - أما الحجة العقلية الأخرى فتتمثل فى اقامة الحدود الشرعية ، كقطع يد السارق وجلد الزانى واعلان الحرب على

الأعداء . ان هذه الحدود مع وجوبها لا تقام ولا توجد الا بالأئمة وولاتهم .

وفى ابطال الامامة ، ابطال لاقامة حدود الله ، اذن تنصيب وعقد الامامة على المسلمين فرض وواجب ، وقد دعم أبو عمار فكرته هذه بالأدلة النقلية الكثيرة ، وقال : ان الآيات الكريمة تدعو الى اقامة حدود الله . وهذه الحدود مع وجوبها لا تقام ولا توجب الا عن طريق السلطة الحاكمة . فهذه الحجج قد فندت رأى النجدات حين قالت : ان الناس لا يحتاجون الى امام ، وانما عليهم أن يقيموا كتاب الله بينهم وهذه الفكرة أقرب جدا الى النظرية الفوضوية المعاصرة التى تنادى باسقاط كل السلطات السياسية حتى يتحرر الانسان من قيود المجتمع ويحقق حريته المطلقة فهذه النظرية فى حاجة الى سند قوى لحمايتها واستمرارها ـ فهذا دليل على تناقضها .

٤ ـ كما أن النصوص أكدت أن الخلافة لا يمكن حصرها واحتكارها فى النظام الوراثى ، أو فى الجنس ، أو القبيلة ، أو الأسرة ، أو اللون ، أو طبقة معينة فى مجتمع ما ، لأن الناس سواسية أمام الله وقد خلقهم من نفس واحدة ويقول عز وجل فى ذلك : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة** » (النساء : ١) .

فلا تمييز بين أبناء المسلمين لهذا المنصب ، اذا كان القائم

بها مستحقا مهما كانت جنسيته ودرجته والرسول ﷺ يقــول فى ذلك : « ان أمر عليكم عبد حبشى مجدوع الأنف فاسـمعوا وأطيعوا ما إقام فيكم كتاب الله » · (الجامع الصحيح الجزء الثالث ص ١٣) ·

واشترطوا فى الامامة الشروط التالية : أن يكون الامام ذكرا بالغا عاقلا عالما بالأصول والفروع وله دراية فى الشئون السياسية والحربية ، وأن يكون كامل الخلقة أى غير مصــاب بعاهة · ولا يخاف من اقامة حدود الله · وأن الاختيار والبيعة هما الطريق لتنصيب الامام ، وقد دافع الاباضية عن هذه الفكرة السامية التى أصبحت الفكرة السائدة فى الوقت الحاضر لأنها نابعة من طبيعة الانسان وحريته وأصبحت كل الأحزاب السياسية المعاصرة تعتنق هذه الفكرة وتدافع عنها ·

والملاحظ أن الاباضية يتفقون مع الخوارج وبعض الفرق الاعتزالية فى هذا الركن ، ويناقضون رأى الشيعة فى ذلك لذا تجد بعض الدارسين الجامعيين وغيرهم يخلطون بين آراء الاباضية والخوارج ويدعون أن الاباضية خوارج وليس لهم رأى فى الأصول الدينية والاجتماعية الا فى قضية الخلافة فقط ·

ونحن قد رأينا أن الاباضية قد اتفقوا مـــع الأشـعرية فى قضية القدر ، واتفقوا مع المعتزلة فى قضية خلق القرآن الكريم واتفقوا أيضا مع الشيعة فى أصل التوحيد والايمان ، والخلود ·

ولـو سلمنا بفكـرة الباحثين الذين يقرون أن الاباضية خوارج ، لأنهم يتفقون معهم فى ركن الامامة ، لجاز لنا أن نستنتج أن الاباضية يمثلون كل المدارس الكلامية عن طـريق الاستنتاج التمثيلى ، لأنهم يتفقون مع بعض الفرق فى بعض الأصول كما رأينا . غير أن هذا الاستدلال فاسد . والقاعـــدة المنطقية تقول : اذا صدق البعض لا يصدق الكل بالضرورة .

*. * *

● خلاصـة البحـث العام :

بعد العرض والتحليل والمقارنة والاستنتاج يظهر لنا بكل تاكيد ويقين أن الفكر الاباضى لا يختلف عن المدارس الكلامية الأخرى أصالة وعمقا . ويقول فى ذلك الأستاذ ابراهيم بن عمر بيوض : « يمكن أن تعتبر الاباضية أساتذة الفرق الاسلامية فى تأصيل قضايا العقيدة » (٣) .

فالأصول العقائدية تميزت بالنقاء الفكرى الذى مثلتـــه عقيدة التوحيد والايمان والعدل . أما الأصول الاجتماعية فقد تميزت بالبعد الثورى الأصيل الذى يغرس روح الاخلاص لعقيدة الاسلام والدفاع عن مبادىء الاسلام الذى نادى بها الرســـول والخلفاء الراشدين وعظماء الاسلام واعتبروا الدين والايمـــان والاسلام ، أسماء مختلفة لشىء واحد وهو تطبيق كتـاب الله

---

(٣) ر : (ف ـ أ) .

تطبيقا عمليا . فلا يمكن بأى حال من الأحوال الفصل بين الاصول الدينية والاصول الاجماعية .

فالاسلام قد عالج العقائد الدينية وقضايا الحكم والاقتصاد ، والحرب والسلم . والدولة ، الخ . ولم يفصل بين هذه القضايا .

واعتبر البشرية كلها أسرة واحدة ، وأن العدل شريعة الاسلام الذى ينظم المجتمع ويقيمه على الأسس السليمة ويضمن له الرخاء والسعادة الدائمة .

وهكذا نجد شباب العالم الاسلامى قد تيقظ وشرع يطلب الخلاص من جميع التيارات الغربية والشرقية على السواء ، والرجوع الى كتاب الله عز وجل . ولعل هذه الفكرة الجليلة قد تجلت فى افتتاح الملتقى الخامس عشر للفكر الاسلامى الذى كان محوره القرآن الكريم وأثره على الحضارة الاسلامية قديما وحاضرا ، وبالفعل قد تناولت جريدة الشعب هذا الموضوع وكتبت ما يلى « الجزائر طبعت على حب القرآن ، والتعلق به حفظا وفهما واقتداء » (٤) ، أليست نفس الصورة التى كان عليها الصحابة رضى الله عنهم . فقد حفظوا القرآن الكريم وفهموه فهما عقليا مجازيا وآمنوا به وطبقوه فى سلوكهم تطبيقا عمليا .

---

(٤) العدد ٥٥٥٠ بتاريخ الاربعاء ٣ ذى القعدة ١٤٠١ هـ .

فعلينا أن نستخلص كل ما فى ثقافتنا الاسلامية من قيم انسانية ثورية عالمية لتدعيم وحدة الجزائر والعالم الاسـلامى بعوامل القوة لمواجهة التيارات الدخيلة والغريبة التى تهـدد أصالة الاسلام وعدالته الاجتماعية ٠

* * *

الخـــاتمة

اننى اذ أختتم هذا الكتاب المتواضع ، والذى فصلت عيه أصول الفكر الاباضى قــدر الامكــان ، غير أن البحث العلمى يقتضى منى أن أقول : ان هذه الدراسة لا تزال ناقصة نظــرا لعدم استكمال دراسة المشكل من جميع الجوانب ولقــد حاولت أن أقدم صورة واضحة عن أصول الفكر الاباضى لعلى أن أبلغ بعض الكمال ، وهيهات فالكمال من صفات الله تعالى وحده . ولا شك أن هناك بعض التقصير ، غير أننى أشهد لم أدخــر وسعا فى اجتناب هذا التقصير الا أن طاقة الانسان محدودة . وان هذا الكتاب سيلقى أضواء ساطعة دون شك على الفكــر الاباضى وبعض مصادره ليتحرر الباحثون والدارسون مســبقا فى حقل الدراسات الاسلامية من عقدة حكم كتاب المقالات قديما وحديثا الذين لا يراجعون مصادر الاباضية ذاتها ولا يعتمدون عليها فى الاستدلال والبرهنة .

ولا يسعنى فى هــذه الحــالة الا أن أطلب من الباحثين والكتــاب والمؤلفين الجامعيين . أن يلتزموا بالــروح العلميــة وشروطها المعروفة عندهم سيما الدقة ، والأمــانة والموضوعية والصبر فى تحمل البحث العلمى القائم على الاستدلال العقــلى ليعللوا نتائجهم تعليلا نقديا قائما على البرهنة العقلية لادراك الحكمة القائلة : « الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهـــو أحق بها » . صدق حبيب الله (حديث شريف) .

وهنا قد يظن بعض القراء الكرام أننى أريد الدفاع عـــن المدرسة الاباضية وفلسفتهـا ، ولكن الأمـانة العلمية هى التى فرضت على أن أبين هذه الحقيقة العلمية ٠

وأخيرا أقدم شكرى الخالص الى كل الأخوة الذين أمدونى يد المساعدة ، وأخص بالذكر أساتذتى الكرام ، واخوانى الأعزاء ادريس ومسعود وقاسم أمد الله فى عمرهم كما لا أنسى فضـل وجميل والدى الكريم الحاج سعيد أعوشت رحمه الله ووالدتى الكريمة اللذين ضحيا بكل شىء فى سبيل تثقيفى ٠

أرجو من الله عز وجل ، أن يكون هذا العمل خالصا له ، وفقنا الله الى الخير وسواء السبيل ، انه سميع مجيب ـ آمين ٠

غارداية : الأحد ١٣ ذى الحجة ١٤٠١ هـ

١١ أكتوبر ١٩٨١ م

أعوشـت بكـير بن سـعيد

* * *

الفهـــارس

● فهرس تراجم العلماء :

(أ)

١ ـ ابن فندين هو يزيد اليفرينى الذى رشح نفسه للامامة الرستمية بعد وفاة الامام عبد الرحمن الرستمى سنة ١٧١ هـ . فلما خاب فيها ، تزعم حركة تمرد ضد الامام عبد الوهاب ابن عبد الرحمن الرستمى .

٢ ـ أطفيش محمد بن يوسف الملقب بقطب الائمة ولد فى بلدة بنى يسجن وقيل فى غارداية جنوب الجزائر سنة ١٨١٨ م .

تصدى لنشر العلم والتأليف منذ الصغر . تآليف القطب تجاوزت الثلاثمائة بين مخطوط ومطبوع أهمها :

تيسير التفسير ـ شرح النيل ـ الذهب الخالص ـ شامل الأصل والفرع . توفى القطب رحمه الله فى شهر مارس ١٩١٤ عن عمر يناهز ٩٦ سنة .

(ب)

١ ـ بيوض ابراهيم بن عمر : ولد فى القرارة دائرة غارداية جنوب الجزائر سنة ١٨٩٧ م ، وتوفى سنة ١٩٨١ ،

يعد من أعظم الدعاة الى الاصلاح الدينى والاجتماعى والفكرى فى الجزائر ، حارب الجمود الفكرى والاستعمارى معا . دعا الى الأخذ بأسباب النهضة الاجتماعية والعلمية .

أهم آثاره : شرح القرآن الكريم – « فى رحاب القرآن » – وكتاب الفتاوى .

(ج)

١ – جابر بن زيد : هو التابعى الشهير أبو الشعثاء الأزدى فهو امام محدث ولد فى فرق بعمان سنة ٢١ هـ ، وتوفى سنة ٩٣ هـ .

٢ – الجناوى أبو زكرياء يحيى بن أبى الخير : ولد فى مدينة جناون بجبل نفوسة – بليبيا – فهو من علماء النصف الاول للقرن الخامس الهجرى . وأهم آثاره : كتاب الوضع – مختصر فى الأصول والفقه .

٣ – جهم بن صفوان : مات عام ١٢٨ هـ ، يمثل الاتجاه الجبرى – يقول بعدم قدرة الانسان على الفعل أصلا ، والله هو الخالق لأفعالنا .

٤ – الجيطالى : أبو طاهر اسماعيل بن موسى . ولد فى مدينة جيطال – بجبل نفوسة – ليبيا – أما مولده فلم يحدد بالضبط وقد توفى رحمه الله سنة ٧٥٠ هـ . أهم تآليفه :

قواعد الاسلام فى جزئين ـ القناطر فى عدة أجزاء ـ وكتاب الحج والمناسك ـ وكتاب الحساب والفرائض ٠

(ح)

١ ـ حرقوص بن زهير السعدى : هو الذى فتح الأهواز فى أيام عمر ٠ وقد شهد صفين وأبى بتحكيم الحكمين ومات فى معركة النهروان سنة ٣٨ هـ ٠

٢ ـ أبو حفص عمر بن جميع : تنسب اليه مقدمة التوحيد التى كانت بالبربرية فأبدلها بلسان عربى ، فأصبحت عمدة اباضية المغرب فى الأصول الدينية والاجتماعية وتوفى فى القرن الثامن فى جزيرة جربة ـ بتونس ٠

(د)

الدرجينى : يسمى أبا العباس أحمد بن سعيد من علماء القرن السابع الهجرى لقد ولد فى مطلع القرن السابع الهجرى فى بلاد الجريد جنوب شرق الجزائر وتوفى سنة ٦٧٠ هـ ٠
أهم آثاره : كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ٠

(ر)

الربيع بن حبيب : أبو عمرو الفراهيدى الأزدى أصله من عمان قد أدرك جابرا وضمام بن السائب وأبا عبيدة مسلم وأبا نوح صالح بن نوح الدهان ٠ وأصبح زعيما للمذهب

الاباضى بعد وفاة أبى عبيدة مسلم ، ولقد مات سنة ١٧٠ هـ ، فى عمان عندما رحل اليها وأهم آثاره : كتاب الجامع الصحيح فى الحديث ، أما آراؤه فى الفقه فقد دونها أبو غانم فى المدونة .

(س)

١ ـ الشيخ السالمى : هو نور الدين أبو محمد عبد الله ابن حميد سلوم السالمى . ولد ببلدة الحوقين بعمان سنة ١٢٨٦ هـ . كان آية فى الذكاء والنشاط . شرع فى التأليف وعمره سبعة عشر عاما .

مؤلفاته تزيد على ثلاثين كتابا .

أهمها : ـ اللمعة المرضية فى أشعة الاباضية .

ـ أنوار العقول فى الأصول .

ـ مشارق أنوار العقول .

ـ جوهر النظام .

توفى سنة ١٣٣٢ هـ ، ببلدة تنوف ـ بعمان .

٢ ـ العلامة أبو سليمان داوود بن ابراهيم التلاتى الجربى عالم من أعلام الفكر الاباضى ، وقف مجاهدا ضد درغوت الطاغية على جزيرة جربة ـ فقد استشهد فى سنة ٩٦٧ هـ .

أهم آثاره : شرح مقدمة التوحيد للعلامة أبى حفص عمر ابن جميع .

(أ ش)

١ ـ الأشعرى : هو أبو الحسن على بن اسماعيل بن اسحاق ولد بالبصرة وتوفى فى بغداد سنة ٣٢٤ هـ ٠ وكان فى أول حياته على مذهـب الاعتزال ٠ غير أنـه تبرأ صراحة من المدرسـة الاعتزالية لما بلغ الأربعين سـنة ٠ وأصبح أهل السنة ينتسبون اليه ٠

أهم آثاره : ـ مقالات الاسلامين واختلاف المصلين ٠

ـ والابانة عن أصول الديانة ٠

ـ واللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع ٠

٢ ـ الشماخى : هو الامام المجتهد أبو العباس بدر الدين أحمد الشماخى ٠ من أعلام الفكر الاباضى فى القرن التاسـع الهجرى ٠

أهم آثاره : ـ مقدمة فى أصول الفقه وشرحه ـ واعـراب مشكل الدعائم ـ وشرح مرج البحرين لأبى يعقوب فى المنطق والحساب والهندسة ـ وأشهر كتاب عنده السير يعالج فيه تاريخ الاباضية وبعض عقائدهم ٠

لقد توفى رحمه الله فى بلدة يفرن بجبل نفوسة ـ بليبيا ـ سنة ٩٢٨ هـ ٠

(ع)

١ ـ عبد الرحمن الرستمى : أول امام بويع فى الدولـــة الرستمية الجزائرية سنة ١٦٠ هـ • فأقام الحدود وبالغ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر توفى سنة ١٧١ هـ •

٢ ـ الشيخ عبد العزيز الثمينى : ولد فى بنى يزقن سنة ١١٣٠ هـ ، دائرة غارداية ـ جنوب الجزائر ـ وتوفى فى بلدته سنة ١٢٢٣ هـ • كان من دعاة الاصلاح والعلم ، انتهت اليـــه الاس ـة العلمية •

أهم مؤلفاته هى : النيل ـ وشرح قصيدة النونية لأبى نصر فى علم الكلام ـ معالم الدين فى الفلسفة والمنطق •

٣ ـ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : تولى الخلافة على اثر وفاة والده بالاجماع من سنة ١٧١ هـ ، الى حين وفاته سنة ١٩٠ هـ •

٤ ـ عبد الله بن اباض بن تيم اللات بن ثعلبة التميمى : من بنى مرة ولد فى زمن معاوية (٤٠ ـ ٦٠ هـ) وتوفى فى آخر حياة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ) •

٥ ـ عبد الله بن وهب الراسبى : أدرك النبى ﷺ وشارك فى فتوحات العراق • بويع أميرا للمؤمنين وخليفة المسلمين فى ٢٠ شعبان سنة ٣٧ هـ ، بعد أن أنكر جماعة المسلمين التحكيم

الذى قام به على وقد توفى فى معركة النهروان فى ٩ صفر سنة ٣٨ هـ ٠

٦ ـ على يحيى معمر : ولد فى لالوت بجبل نفوسة ـ بليبيا ـ سنة ١٩١٥ م ، وتوفى سنة ١٩٧٩ م ، من دعاة الاصلاح الدينى فى العالم الاسلامى والعالم العربى خاصة ـ دعا فى مؤلفاته الى تطهير الاسلام مما علق فيه من العادات الفاسدة ـ ومنهجه يتميز بالنقد العلمى ٠

أهم مؤلفاته هى : التربية الاسلامية ـ وآلهة من الحلوى ـ والاباضية فى موكب التاريخ فى عدة أجزاء ـ والاباضية بين الفرق الاسلامية ٠

٧ ـ أبو عمار عبد الكافى الاباضى : ولد فى قرية تناوت قرب سدراته ـ ورجلان ـ جنوب الجزائر ٠ يعد من أعظم مفكرى الاباضية فى طرح المشاكل الفلسفية وتحليلها ، وهو لا يقل مرتبة عن ابن رشد والغزالى فى أصالة تفكيره وعمق نظره ٠

أهم مؤلفاته : كتاب الموجز فى علم الكلام والفلسفة وهو فى جزئين ـ وكتاب الاستطاعة ـ وكتاب شرح الجهالات ٠

٨ ـ أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة من بنى تميم : أخذ العلم عن جابر بن زيد واليه انتهت رئاسة الاباضية بعد موت جابر ابن زيد ٠ وتخرج على يديه رجال حملة العلم وعن طريقهم الذى يثبت للانسان القدرة على أفعاله واختياراته ٠

(م)

معبد الجهنى : مات عام ٨٠ هـ ، فهو الذى مثل الاتجاه القدرى ويثبت للانسان القدرة على أفعاله واختياراته .

(ن)

١ - أبو نصر فتح بن نوح الملوشائى النفوسى : ولد فى مدينة تملوشايت - بجبل نفوسة - ليبيا . يعد من أكبر علماء الاباضية فى القرن السابع الهجرى .

أهم مؤلفاته : قصيدة النونية فى أصول علم الكلام - له عدة دواوين فى الشعر الدينى .

٢ - نافع بن الأزرق : زعيم الخوارج فقد توفى فى حياة عبد الملك بن مروان الأموى .

٣ - نجدة بن عامر الحنفى : زعيم الفرقة النجدية من الخوارج توفى سنة ٦٩ هـ .

(و)

واصل بن عطاء : هو أبو حذيفة الغزال : ولد بالمدينة سنة ٨٠ هـ ، وتوفى سنة ١٣١ هـ ، فى البصرة . مؤسس مدرسة الاعتزال وأهم آثاره : المنزلة بين المنزلتين - ومعانى القرآن - وطبقات أهل العلم والجهل .

(ى)

أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلانى : يعد من أعلام الفكر الاباضى فى القرن السادس الهجرى . فهو ذو نزعة عقلانية واجتماعية ، وقد درس العلوم العقلية والنقلية فى الأندلس ، بمدينة غرناطة وقرطبة . واحتك بالمجتمعات الافريقية التى تعيش فى خط الاستواء وقدم دراسات قيمة على هـذه البيئة الافريقية .

أهم مؤلفاته :

(١) كتاب العدل والانصاف فى ثلاثة أجزاء .

(٢) الدليل لأهل العقول فى ثلاثة أجزاء .

(٣) ترتيب مسند الربيع بن حبيب البصرى .

(٤) فتوح المغرب .

(٥) اكتشافه لخط الاستواء ، وبرهن على صحته ، قبل أن يكتشفه الأوروبيون . وقد توفى رحمه الله سنة ٥٧٠ هـ .

* * *

● فهرس الفرق الكلامية :

(أ)

١ ـ الاباضية : نسبة الى عبد الله بن اباض وهو تابعى عاصر معاوية وتوفى فى أواخر أيام عبد الملك بن مروان . وهذا المذهب يعد من أقدم المذاهب الاسلامية على الاطلاق . مصادره الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس . أما فى الحديث الشريف فيعتمد على الجامع الصحيح للامام الربيع بن حبيب المتوفى سنة ١٧٠ هـ . والاباضية حاليا يوجدون فى الجزائر وتونس ، وليبيا ، وعمان ، وزنجبار .

٢ـ الاسماعيلية : فرقة من الشيعة الباطنية المتطرفة فتنسب الى اسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق الامام السادس المتوفى بالمدينة سنة ٧٦١ م . والذى جعلوا له الامامة بعد وفاة أبيه ، غير أن أبناءه قد اضطهدوا بعد وفاة أبيهم .

مبادىء الاسماعيلية : تعتقد بامام معصوم لا يخطىء أبدا ، فتصبح كلمة الامام فوق أحكام الشريعة وهو يدرك باطن الآيات المنزلة وكل ظاهر له باطن فى الدين .

وهؤلاء يوجدون فى فارس وأفغانستان والهند والشام وتنزانيا .

٣ ـ الأشعرية : نسبة الى أبى الحسن الاشعرى الذى ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ ٠ وتوفى سنة ٣٢٥ هـ ، ببغداد ٠ واليه ينسب أصحاب السنة والحديث ، وقد رأى أن النظر العقلى فى فهم النصوص الشرعية مقيد بالشرع فالعقل يجب أن يكون فى خدمة الشرع وليس العكس ٠ وقد عارض مذهب المعتزلة والفرق الأخرى حين حكموا العقل فى كل أحكام الشرع ٠ فنزعته توفيقية الى حد ما بين العقل والشرع ٠

٤ ـ الامامية : فرقة من الشيعة ، تقر أن النبى ﷺ نص على خلافة على بن أبى طالب باسمه ، وأن جل الصحابة قد أخطأوا حين تركوا هذا الركن الالهى لأن الامامة لا تكون الا بنص الهى ، وأن عليا كان مصيبا فى جميع أحكامه الشرعية والاجتماعية ٠ وتعيين الامام لا يفوض الى أفراد الشعب وارادته الحرة ، فالشيعى لا يختلف عن المذاهب الأخرى الاسلامية الا بركن الامامة والاعتقاد بأنها منصب الهى ، وسميت الامامية الاثنا عشرية ـ لأنها تسلسل الأئمة الى الثانى عشر وهو محمد ابن الحسن بن على ٠ وهو الامام الغائب المنتظر ويدعون أنه سوف يظهر ويملأ الدنيا عدلا ٠ وأتباع الامامية يوجدون فى العراق وايران والهند وباكستان وأفغانستان والخليج العربى ٠

(ج)

الجبرية : فرقة من الفرق الاسلامية وهى ترى أن كل

ما يحدث للانسان قد قدر عليه مسبقا فى الأزل ، فهو مسير لا مخير كالأشياء الجامدة . وقد تزعم هذه المدرسة جهم ابن صفوان .

(ح)

الحشوية : فرقة من الفرق الاسلامية أجمعت على الجبر والتشبيه ، وينكرون الخوض فى الكلام والجدل ، ويقولون على التقليد وظواهر الروايات والتشبيه ولهذا تسمى بالمشبهة – وتنسب هذه الفرقة الى محمد بن كوام الذى نشأ فى سجستان وتوفى ببيت المقدس سنة ٨٦٩ م .

(خ)

الخوارج هم : الأزارقة ، والنجدية ، والصفرية ، فيرون أن مرتكب الكبيرة كافر كفر شرك .

راجع الموضوع التالى فى الكتاب : من هم الخوارج فى نظر الاباضية ، ثم فهرس الأعلام .

(د)

١ – الدهرية : نسبة الى الذين جحدوا بالله ، وزعموا أن العالم وجد بدون الله عز وجل تعالى الله عن ذلك « **وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر** » (الجاثية : ٢٤) .

٣ ـ الديصانية : هى فرقة بنت مذهبها على أساس المزج بين النصرانية ، والمجوسية والوثنية زعيمهـــا ابن ديصان السريانى •

(ر)

الرستميون : نسبة الى الدولة الرستمية الجزائرية الاسلامية الأولى التى أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٦٠ هـ ، فكانت عاصمتها تيهرت ودامت حوالى ١٥٠ سنة •

(ز)

١ ـ الأزارقة : فرقة من فرق الخـــوارج التى تزعمها نافع ابن الأزرق الذى توفى فى حياة عبد الملك بن مروان فهو يرى أن صاحب الكبيرة كافر كفر شرك •

٢ ـ الزيدية : فرقة من الشيعة فنسبها يعود الى زيـد ابن على بن الحسين ، وهى أقرب الفرق الشيعية الى السنة •

فالامامة عندهم تكون عن طريق الخيار فى نسل العلويين والفاطميين ، وأن امامة على تمت عن طريق الوصف لا عـن طريق التشخيص الثابت ، فهم لا يتبرأون من أبى بكر وعمر ابن الخطاب ولا يطعنون فى خلافتهما • فهم يجوزون امامة المفضول مع وجود الأفضل ، وقد تأثروا الى حـــد كبير فى عقائدهم بمدرسة المعتزلة • وأتباع الزيدية يوجدون فى اليمن الجنوبية والشمالية • وجنوب الجزيرة العربية •

(ش)

الشيعة : المدلول اللغوى ، الانصار والاتباع ، وأما المدلول السياسى فيقصد به الحزب المناصر لآل بيت على ، وكل امـــام لا ينسب الى هذا البيت تعد سلطته غير شرعية .

وفرق الشيعة الآن هى : الزيدية ، الامامية ، العلويون ، الاسماعيلية .

(ص)

الصفرية : فرقة من الخوارج فالنسبة تعود الى أتباع زياد ابن الأصفر ، يرون أن مرتكب الكبائر مشرك ، وأن التقيـة توجب فى القول أما العمل فلا .

(ظ)

الظاهرية : هم أتباع داوود بن على الظاهرى المتوفى سنة ٢٧٠ هـ . من تلاميذ أصحاب الشافعى وأعلن الأخذ بظـاهر النصوص ، فلا يعللها ولا يقيس ولذا سمى ظاهريا .

(ف)

الفوضوية : وهى النزعة التى تنـادى بالغـــاء السلطة وأجهزتها الادارية التى تحد من حرية الفرد ، لأن الدولة فى نظرها ما هى الا أداة قمعية فى حق الفرد . وأن الأفــراد يشرفون أنفسهم بأنفسهم على تصريف شئونهم فى نظام كامل . ولقد تزعم هذه الفكرة قديما زنون .

(ق)

١ ـ القدرية : فهى المدرسة التى تثبت للانسان قدرة على حرية أفعاله وله الخيار فى ذلك ٠

وقد مثل هذه المدرسة معبد الجهنى الذى توفى عام ٨٠ م ، وغيلان الدمشقى ٠

٢ ـ القرامطة : دعوة اسماعيلية متطرفة جدا ، ظهرت سنة ٩٠٠ م ، فى واسط بين الكوفة والبصرة ، وكان زعيمها حمدان القرميطى ٠ وقد اعتنق الفكرة بعض الأعراب والأنباط والزنج المستعبدين وانتهى الأمر بهؤلاء أن جعلوا كل شىء مشاعا بين الجميع الا السيوف ٠

مبادئهم : قالوا ان الصلاة موالاة امامهم ، وان الحج زيارته وخدمته ، أما الصوم فهو الامساك عن افشاء سره ، وقالوا من عرف معنى العبادة سقط عنه فرائضها ٠ فهذه الأفكار تتنافى تماما مع مبادىء الاسلام ٠ فهذه الفرقة لم يبق لها أثر فى العالم الاسلامى ٠

(ك)

أهل الكتاب هم : اليهود والنصارى والصابئون : اليهود أهل التوراة ، والنصارى أهل الانجيل ، والصابئون أهل الزبور ٠ أهم مبادىء الصابئة التطهير بالماء اذا لمسوا جسدا ٠ يحرمون الختان وتعدد الزوجات ٠ فهؤلاء لا يزالون يوجدون فى بغداد ٠

(م)

١ ـ المجوسية : قوم يعبدون الشمس والنار والقمر دون الله عز وجل وينكحون ذوات المحارم • لا يزال هؤلاء فى يـزد بايران •

٢ ـ المرجئة : هى فرقة اسلامية ميزت بين الأعمال والايمان فالايمان فى نظرها هو التصديق بالقلب والاقرار باللسـان • وليس من الضرورى أن يصدر عنه العمل • فالمسلم الغاصى الذى ارتكب الكبائر وضيع الفرائض سوف يتولى الله حسـابه فى الآخرة ، وان الخلود فى النار خاص بالكفار فقط وقيل سموا مرجئة : لأنهم يرجون الجنة بغير عمل • وأشهر فرقهـم هى : اليونسية والغسانية وظهر هذا الاتجاه قويا فى عهد الأمويين وشجعته السلطة حينئذ •

٣ ـ المعتزلة : من أشهر الفرق الاسلامية على الاطلاق ، فهى تعتمد على العقل بالدرجة الأولى فى فهم الأدلة الشرعية وأصول الاسلام • ومؤسس الفرقة هو واصل بن عطـاء توفى سنة ١٣١ هـ • وأشهر أعلامها : عمر بن عبيد ، والعـلاف ، والنظام ، والجاحظ •

أهم تعاليمها : (١) التوحيد • (٢) العدل • (٣) الوعد والوعيد • (٤) المنزلة بين المنزلتين • (٥) الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر •

* * *

● فهرس المصطلحات الكلامية والفلسفية :

(أ)

١ ــ الأبد : استمرار الوجود فى المستقبل الدائم ٠

٢ ــ الاحتمال : ما لا يكون تصور طرفيه كافيا ، بل يتردد فى النسبة بينهما ويراد بـــه الامكان الذهنى (تعريفـــات الجرجانى) ٠

(م ــ م : مراد وهبة) (١) ٠

٣ ــ الارادة : قوة فيها امكان فعل أحد المتقابلين على السواء (ابن رشد تهافت التهافت) ٠

٤ ــ الأزل : استمرار الوجود فى الماضى الى غير نهاية فهو : ما لا يكون مسبوقا بالعدم (تعريفات الجرجانى) ٠

٥ ــ الاستدلال : عملية عقلية يتوصل فيها المرء الى قضية (تدعى النتيجة) بدلالة قضية أخرى أو أكثر (تدعى المقدمات أو البيانات) لقيام علاقة معينة بينهما (م : المنطق لكريـــم متى) ٠

---

(١) (م ــ م) : معناه المصدر يعود الى المعجم ٠

٦ ـ الاستقراء : لغة التتبع من استقرأ الأمر ، لذا تتبع أحواله لمعرفة أحواله ، وعند المنطقيين هو الحكم على الكلى لثبوت ذلك الحكم فى الجزئى . (م : م جميل صليبا) مثلا اذا قلنا :

الحديد معدن يتمدد بالحرارة .

النحاس معدن يتمدد بالحرارة .

اذن المعادن تتمدد بالحرارة .

٧ ـ الامامة : ترادف الخلافة وهى الرئاسة العامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول ﷺ والامام يلتزم بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ .

٨ ـ الايمان : لغة ، التصديق وفى اصطلاح الشرع : التوحيد ، كمعرفة الله والرسول وما جاء به وغير ذلك مما لا يسع جهله وغير توحيد وهو جميع ما أمر الله به سبحانه (م : مقدمة التوحيد) .

(ب)

البراءة : لغة البعد عن الشىء والتخلص ، وأما فى الاصطلاح الشرعى تعنى الشتم واللعن للكافر لكفره ، وهجرة مرتكبى الكبائر حتى يتوبوا (م : الذهب الخالص) .

(ت)

١ ـ التقية : لغة الستر ، والكتمان ، واصطلاحا : نظام سرى لحماية دعوة معينة يقوم صاحبها على التمويه أمام السلطات لحماية نفسه .

٢ ـ التناقض : هو اختلاف القضيتين بالايجاب والسلب بحيث يقتضى لذاته صدق احداهما وكذب الأخرى كقولنا : زيد انسان ، زيد ليس بانسان . أما التضاد يكون بين قضيتين كليتين مختلفتى الكيف وحكم التضاد قضاياه لا تصدقان معا ، ولكن يمكن أن تكذبا معا كقولنا : لا واحد من الطلبة حاضر ، كل الطلبة حاضرون ويمكن أن نستنتج بعض الطلبة حاضرون .

(ث)

الثورة : تغيير جوهرى فى العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمجتمع ما .

(ج)

١ ـ الجزاء : هو النتيجة المباشرة لتحمل مسئولية أعمالنا ، فيكون ثوابا أو عقابا .

٢ ـ الجنة : انها ثواب الله لأهل الطاعة .

٣ ـ جهنم : انها عقاب الله لأهل المعاصى .

٤ ـ الجوهر : الأصل أى الموجود القائم بنفسه .

(ح)

١ ـ الحدس : هو المعرفة المباشرة التى نتحصل عليها دفعة واحدة .

٢ ـ الحساب : هو اظهار تفصيل العمل الصالح وتمييزه عن غيره ، واظهار المقبول والمردود ومقدار العقاب والثواب . (م : الذهب الخالص) .

٣ ـ الحكمة : هى معرفة حقائق الأشياء والتعمق فى فهمها وادراكها .

(خ)

الخلود : معناه بقاء النفس بقاء دائما أبدا فى الآخرة بعد موت الانسان فى الدنيا .

(د)

الدور : أن يوجد شيئان ، كل واحد منهما علة للآخر ، وفساده واضح لأنه يستلزم توقف الشىء على نفسه .

(ر)

الروح العلمية : هى مجموعة من الخصائص التى يجب أن تتوفر فى العالم فهى : حب الاستطلاع ، الشجاعة ، الصبر ، النزاهة ، الموضوعية ، الوضعية ، الكمية ، النقد ، وعليه أن يسلم بالمبادىء التالية : مبدأ الحتمية والنسبية .

(س)

السنة : لغة الطريقة والعادة • وفى الاصطلاح : هو ما صدر عن الرسول ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير • (م : مقدمة التوحيد) •

(ش)

١ ـ الشرك : لغة النصيب ، واصطلاحا : جحود بالله عز وجل والشرك يكون جحودا بالله كفعل أهل الدهر والثنوية ، ويكون مساواة ، أى تساوى بين الله والخلق فى صفة أو فعل أو ذات • (م : مقدمة التوحيد) •

٢ ـ الشفاعة : لغة الوسيلة والطلب ، وعرفا : سؤال الخير من الغير للغير • وشرعا : طلب تعجيل دخول الجنة أو زيادة درجة فيها من الرب عز وجل لعباده المؤمنين فتكون للأنبياء وغيرهم ويختص بها نبينا ﷺ • (م : مشارق أنوار العقول) •

(ع)

١ ـ العرض : ضد الجوهر ، لأن الجوهر هو ما يتقوم بذاته ولا يفتقر الى غيره ليقوم به ، على حين أن العرض هو الذى يفتقر الى غيره ليقوم به ، فالجسم جوهر يقوم بذاته ، أما اللون فهو عرض ، لأنه لا قيام له الا بالجسم •

٢ ـ العصمة : لغة الحفظ والوقاية والمنع ، واصطلاحا : تكون للأنبياء ملكة دون ارتكاب المعاصى صغيرها وكبيرها .

٣ ـ العقيدة : الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقديه . (م : مراد وهبة) .

٤ ـ العلة : هى ما يتوقف عليه وجود الشىء ويكون خارجا مؤثرا فيه .

(ف)

الفلسفة : لفظ فلسفة مشتق من اليونانية وأصله (فيلا ـ صوفيا) ومعناه محبة الحكمة ، ويطلق على العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح . انظر الحكمة .

(ق)

١ ـ القدرة : هى الصفة النفسية للفرد التى تنظم سلوكه وتقوم كشرط لنشاطه .

٢ ـ القديم : يطلق هذا الاصطلاح فى علم الكلام على الموجود الذى ليس لوجوده ابتداء .

٣ ـ القضاء والقدر : ان القضاء هو الحكم الكلى على أعيان الموجودات بأحوالها من الأزل الى الأبد ، مثل الحكم بأن كل نفس ذائقة الموت ، والقدر هو تفصيل هذا الحكم بتعيين الأسباب ، وتخصيص ايجاد الأعيان بأوقات وأزمان بحسب

قابلياتها واستعداداتها المقتضية للوقوع منها ، وتعليق كل حال من أحوالها بزمان معين وسبب مخصوص ، مثل الحكم بموت زيد فى اليوم الفلانى بالمرض الفلانى (كليات أبى البقاء) . (م - م : جميل صليبا) .

(ك)

١ - الكبيرة : الاثم العظيم المنهى عنه شرعا كقتل النفس ، والجمع : كبائر ، وقد اختلف علماء الكلام فى تعريفها والكبيرة ما أوعد الله عليها النكال فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، والكبائر منها معلوم ، وقال بعض على التقريب : ان الكبائر سبعة لقوله عليه الصلاة والسلام : « اجتنبوا الكبائر السبع الموبقات تنجوا : الشرك بالله ، والقتل ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل أموال الناس ظلما ، والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين » فلا بد من الفرز بين كبائر الشرك وكبائر النفاق .

كبائر الشرك فهى : من أنكر توحيد الله أو شبهه بخلقه أو سواه بخلقه أو يجهله أو ينكر رسالته .

كبائر النفاق فهى : جميع ما حرمه الله تعالى ان اقترفه غير محلل له ، أو ترك شيئا مما أوجب عليه غير محرم له ككسب الحرام وأكله من أموال الناس . وكتمان الشهادة . وترك الصلاة والصوم ومنع الزكاة وترك الحج . (م : مقدمة التوحيد) .

٢ ـ الكسب : راجع هذا المصطلح فى موضوع القـــدر المطروح فى هذا الكتاب ٠

٣ ـ الكفر : لغة الستر والتغطية ، أما فى عرف الشرع فقد أطلقت على الشرك تارة وعلى النفاق تارة أخرى والكفر ينقسم الى قسمين : كفر شرك وكفر نعمة ٠ (م : مقدمة التوحيد) ٠

٤ ـ الكلام ٠ علم الكلام فهو : الجدل العقلى فى المسائل الدينية والبرهنة على العقائد والأصول الدينية بالأدلة العقليـة والنقلية دفاعا عن الدين الاسلامى دفعا للشبه ٠

(م)

١ ـ الماهية : هى الصورة الجوهرية التى تميز الشىء عن الشىء الآخر بالجوهر لا بالعرض ٠ كقولنا : الانسان حيوان ناطق ـ لأن النطق خاص بالانسان فقط لا غيره ٠

٢ ـ المحدث : ما لم يكن معروفـا فى كتـاب ولا ســنة ولا اجماع ، الجمع : محدثات ٠

٣ ـ الميتافيزيقيا : ما وراء الطبيعة ٠

(ن)

١ ـ النسخ : لغة الازالة ، يقال نسخت الريح آثار الديار أما فى الاصطلاح الشرعى فيقصد به رفـــع حكم شرعى سابق بنص لاحق ٠

٢ ـ النقد : أى الروح النقدية هى خاصية الخصائص ألتى يجب أن يلزم بها العالم تتمثل بعدم التسليم باية فكرة قبل تحليلها وتمحيصها تمحيصا كافيا لادراك جوهرها ، أما عن طريق التجربة العلمية أو البرهان الرياضى •

(و)

١ ـ الولاية لغة القرب ، والقيام للغير بالأمر والنصر • وشرعا : الترحم والاستغفار للمؤمنين لاسلامهم وطاعتهم والثناء عليهم مع الحب فى القلب • (م : الذهب الخالص) •

٢ ـ الوعد : الثواب ، الجنة •

٣ ـ الوعيد : العقاب ، النار •

* * *

● فهرس مراجع البحث والتحقيق :

ـ الاباضية فى موكب التاريخ : لعلى يحيى معمر ، الحلقة الأولى ، فى نشأة الاباضية والحلقة الثانية بقسميها الاباضية فى ليبيا ، ط مكتبة وهبة القاهرة ١٩٦٤ ، والحلقة الثالثة للاباضية فى تونس ، ط دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ م (م : ا) .

ـ الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات فى القديم والحديث لعلى يحيى معمر ، مطابع سجل العرب سنة ١٩٧٦ الناشر مكتبة وهبة . (م : ا) .

ـ أجوبة ابن خلفون لأبى يعقوب يوسف خلفون المزاتى ، تحقيق د . عمرو خليفة النامى : طبع بدار الفتح بيروت سنة ١٩٧٤ م (م : ا) .

ـ التاريخ الاسلامى العام لعلى ابراهيم حسن ، ط مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٥٩ م .

ـ تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، الجزء الثانى

(م : ا) معناه مرجع يعالج الفكر الاباضى ، والهدف بيان المصادر الاباضية ذاتها .

تاليف مبارك بن محمد الهلالى الميلى ، طبع بمطابع أ .
بدران وشركاه ، بيروت سنة ١٩٦٣ م .

- تاريخ الفلسفة العربية تاليف حنا الفاخورى ، وخليل الجر ، طبع بمؤسسة بدران وشركاه ، بيروت سنة ١٩٦٦ م .

- الجامع الصحيح للامام الربيع بن حبيب ، طبع بالمطبعة السلفية ، سنة ١٣٤٩ هـ ، القاهرة ، المحقق الامام عبد الله ابن حميد السالمى (م : ١) .

- الخوارج فى الاسلام لعمر أبو النصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٦ م ، مكتبة المعارف ، بيروت .

- الدليل لأهل العقول لأبى يعقوب الوارجلانى ، طبع طبعة حجرية فى القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ (م : ١) .

- الذهب الخالص ، المنوه بالعلم القالص للشيخ محمد ابن يوسف أطفيش ، تحقيق أبو اسحاق ابراهيم أطفيش ، طبع بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٣ هـ (م : ١) .

- سلم العامة والمبتدئين الى معرفة أئمة الدين لعبد الله ابن يحيى البارونى النفوسى ، طبع بمطبعة النجاح بمصر سنة ١٣٢٥ هـ (م : ١) .

- السير ، لأحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخى ، طبع حجرى بقسنطينة الجزائر سنة ١٣٠١ هـ (م : ١) .

ـ شرح القصيدة النونية للشيخ أبى نصر فتـح ، تاليف الشيخ عبد العزيز الثمينى ، تحقيق الأسـتاذ بافلح بيوب بن باحمد ، المطبعة العربية ، غارداية سنة ١٩٨١ (م : ا) .

ـ الصلة يين التصوف والتشيع للدكتور كامـل مصطفى الشيبى ، مطبعة الزهراء ببغداد سنة ١٩٦٤ م .

ـ طبقات المشائخ بالمغرب لأبى العباس أحمد بن سـعيد الدرجينى ، الجـزء الأول والثانى ، تحقيق الأستاذ ابراهيم طلاى ، طبع بمطبعة البعث قسنطينة ـ الجزائر سنة ١٩٧٤ (م : ا) .

ـ العقود الفضية فى أصول الاباضية لعبد الله الفقير سالم ابن حمد بن سليمان بن حميد الحارثى العمـانى الاباضى ، طبع بدار اليقظة العربية ، سوريا سنة ١٩٧٤ م (م : ا) .

ـ قواعد الاسلام للامام أبى طاهر اسماعيل الجيطالى ، صححه وعلق عليه الأستاذ بكلى عبد الرحمن بن عمر ، طبع بالمطبعة العربية ، غارداية سنة ١٩٧٦ م (م : ا) .

ـ مختصر تاريخ الاباضية بقلم الشيخ أبى الربيع سليمان البارونى ، طبع الطبعة الثانية بغارداية سنة ١٩٨٠ (م : ا) .

ـ مشارق أنوار العقول لحميد السالمى ، صححه أحمد ابن حمد الخليلى ، الطبعة الثانية ١٩٧٨ م (م : ا) .

- مقدمة التوحيد لأبى حفص عمر بن جميع ومعهـــا شرحان لأبى العباس الشماخى وأبى سليمان التلاتى ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ المطبعة العربية ، غارداية (م : ١) .

- المنطق وفلسفة العلوم تأليف يول موى ، ترجمـــة فؤاد حسن زكريا ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة .

- الموجز الأول والثانى بتحقيق عمار الطالبى ، مطابع الشروق ، بيروت سنة ١٩٧٨ (م : ١) .

- المعجم الفلسفى لجميل صليبا ، دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٧١ .

- المعجـم الفلسفى لمـراد وهبـة ويوسـف كرم ويوسف شلالة ، الطبعة الثانية .

- مقالات الاسلامين واختلاف المصلين للأشعرى ، تحقيق ريتر ، استانبول سنة ١٩٢٩ م .

- الملل والنحل ، للشهرستانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ط . البابى الحلبى ، مصر سنة ١٩٣٩ م .

- نشأة الأشـعرية وتطورهـا لجـلال محمد عبد الحميد موسى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت سنة ١٩٧٥ م .

- الوضع : مختصر فى الأصـــول والفقه لأبى الخـــير الجناوى ، نشره وعلق عليه أبو اسحاق ابراهيم أطفيش ، مطبعة الفجالة الجديدة سنة ١٩٦٢ ، مصر (م : ١) .

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الفهارس (١٢٥ ـ ١٥٥)

***

رقم الايداع ١٧٩٦ / ٨٨
ترقيم دولى ٦ ـ ١٢٨ ـ ٣٠٧ ـ ٩٧٧

